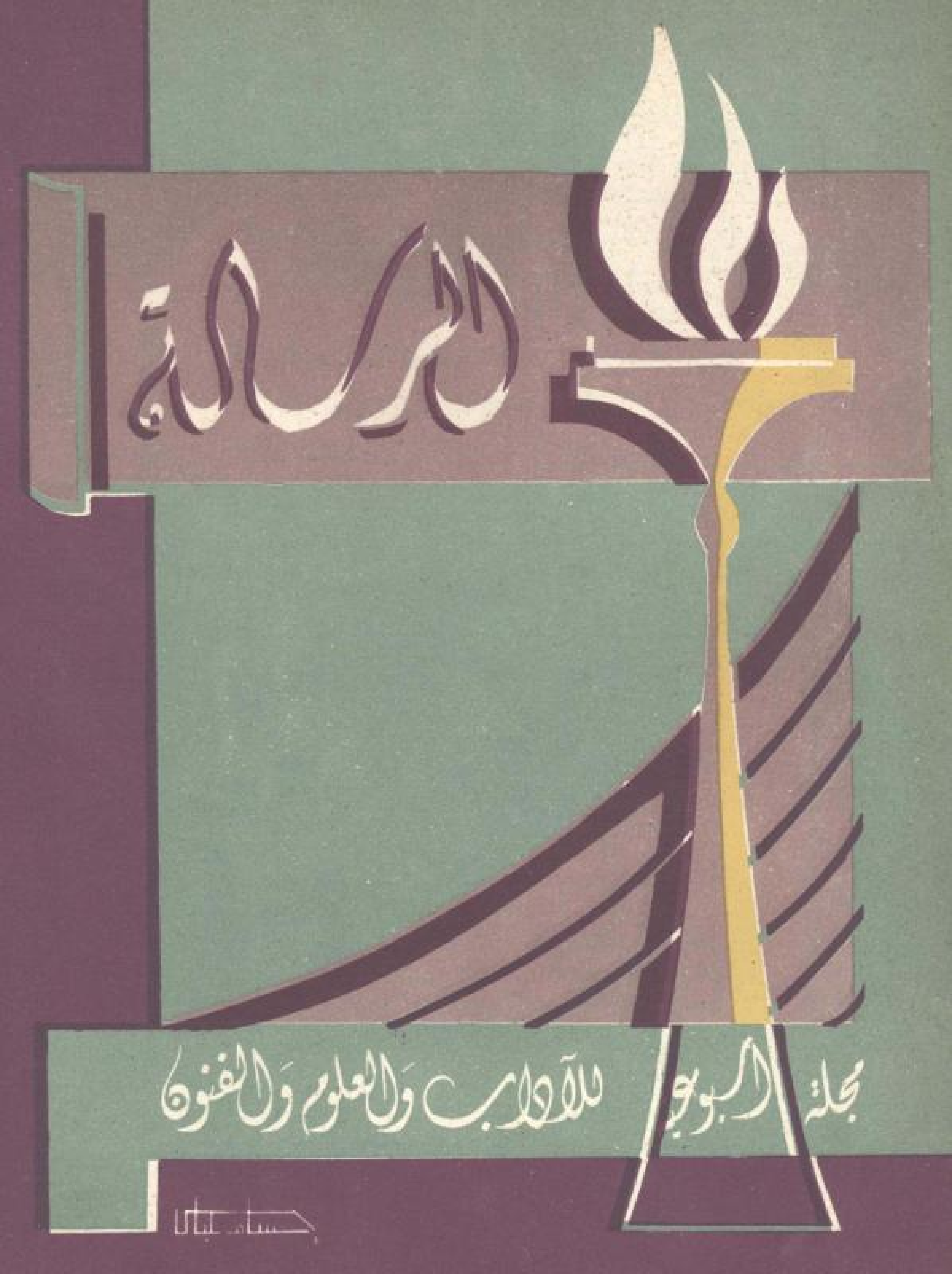

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
البريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١١٠٠ - الخميس ١٠ شوال ١٣٨٤ هـ - ١١ فبراير ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

المفردات في العربية الفصحى وفي العامية

للدكتور : علي عبد الواحد وافي

من اهم ما تمتاز به العربية الفصحى غزارة مفرداتها وثروتها الكبيرة في أصول الكلمات . فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية، وتزيد عنها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول ، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها . هذا الى أنه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال ، مالم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل مايندر وجود مثله في لغة من لغات العالم . فقد جمع ابن منظور المصري في معجمه الخالد « لسان العرب » زهاء ثمانين ألف مادة عربية يتفرع من كل مادة منها عشرات بل مئات أحيانا من الكلمات الجامدة والمشتقة . وهي كذلك منقطعة النظير فيما تشتمل عليه من المترادفات التي تعبر كل مجموعة منها عن معنى واحد أو عن مظاهر معنى واحد أو عن أوضاعه وأحواله . فقد جمع مثلا للأسد خمسمائة اسم وللثعبان مائة اسم . وكتب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط كتابا في أسماء العسل فذكر له أكثر من ثمانين اسما ، وقرر مع ذلك أنه لم يستوعبها جميعا . ويرى الفيروزابادي أنه يوجد للسيف في العربية ألف اسم على الأقل . ويرى آخرون أنه يوجد أكثر من أربعمائة اسم للداهية . ويوجد لكل من المطر والريح والنور والظلام والناقة والحجر والبئر أسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها وتصل الى ثلثمائة في بعضها الآخر ، وقد جمع دوهامر المفردات العربية المتصلة بالجمل وشئونه فوصلت الى أكثر من خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعين . وكذلك الشأن في الأوصاف والأفعال ، فلا يوجد وصف ولا فعل الا وله في العربية الفصحى عدة مفردات تعبر عنه أو عن درجاته أو أوضاعه .

ولا تقتصر مزايا العربية الفصحى من ناحية المفردات على غزارتها العددية ، بل يضاف الى ذلك خصب مناهجها في اشتقاق هذه المفردات بعضها من بعض وقياسية أوزانها واختصاص كثير من هذه الأوزان بالدلالة على معان معينة ، هذا الى سعة صدرها حيال التعريب والمجاز والكناية والنقل وما الى ذلك من الوسائل التي لا تنفك تضيف الى ثروتها الأصيلة ثروات مستحدثة وتجعل متنها دائم الزيادة مطرد النمو .

ولا يخفى ما لهذه الأمور من أثر كبير في كفاية العربية الفصحى وقدرتها على التعبير عن مختلف فنون القول ، فليس ثمة معنى يخطر بالذهن من المعاني الجزئية أو الكلية الا ونجد له من بين مفردات هذه اللغة ما يعبر عنه . وكثرة ما تشتمل عليه من المترادفات للمعنى الواحد تتيح لأرباب كل علم وكل فن وكل صناعة أن يقصروا بعض هذه المترادفات على مصطلحاتهم بدون أن تضار الفروع الأخرى وبدون أن يضار الاستعمال العام من جراء ذلك ، اذ يجد كل فرع من الفروع الأخرى ويجد الاستعمال العام فيما بقي من المترادفات ما يسد حاجته ، وتتيح كذلك لكل كاتب وكل شاعر وكل خطيب أن يتخير من بين هذه المترادفات أكثرها اتساقا مع بقية عناصر الجملة في جرسه وموسيقاه ووزنه ووضوح دلالته وقوة تأثيره ، أو أكثرها اتفاقا مع ما تقتضيه فواصل العبارات أو اتجاهات السجع أو أوضاع العروض والقافية في الشعر .

وقد انتقل العرب من أوضاع الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ومن النطاق العربي الضيق الذي امتازت به مدنيتهم في عصر بني أمية الى الأفق العالمي الواسع الذي تحولوا اليه في عصر بني العباس فلم تعجز لغتهم عن مواجهة هذه الشئون الجديدة ، ولم

تضق ذرعا بالتعبير عن أية ناحية منها ، بل اتسعت للعلوم والفنون والمهن والصناعات على اختلاف أنواعها ، وللحضارة على كثرة مظاهرها ، فنهضت بالمواد الشرعية والرياضية والعلوم النفسية والاجتماعية ، وصارت لسان الفلسفة والسياسة والقصص والصناعة والفن ومختلف ضروب المعاملات وبالجملة لم تقف أمام أية شعبة من شعب المعرفة أو الحضارة وقفة المتعثر الحائر ، بل كان لها من قوة حيويتها ، وعظيم مرونتها ، وغزارة ثروتها ، وسلامة أسسها ، ما أتاح لها الخوض فى مختلف مناحى القول والتعبير عن شتى مظاهر التفكير :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفات

وقد شهد بذلك المنصفون من المستشرقين أنفسهم وفيما يلى فقرات مما كتبه فى هذا الصدد واحد من أشهر علمائهم هو المأسوف عليه لويس ماسينيون فى مقال له تحت عنوان « مقام الثقافة العربية فى المدنية العالمية » :

«مما يدل على أفضلية اللغة العربية احتفاظها بأكبر قدر من الأصول الثلاثية ، فقد بلغت فيها هذه الأصول أربعمائة ألف ومائة وثمانين ٠ ومن بين هذه الأصول عدد كبير لا نظير له فى أخواتها السامية ٠ هذا الى أنها أرقى أخواتها جميعا فى الثقافة بالمعنى العام ٠ وذلك ما يمكن استنتاجه من ثروة المعانى الكامنة فى كل أصل ثلاثى من أصولها ، ومن صقلها للمعانى والصعود بها فى مدارج التقدم ٠٠٠

وباستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما فى أدبهم من جوامع الكلم التى تحمل من سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له ٠ واعجاز التأليف عند العرب يأتى من الايجاز الذى كأنه تركيز بالتقطير ٠

ثم كيف ننسى بعض مطالع قصائد المتنبى وهى كالأسهم صيغت من حكم خالصة تسمو قدرا على مجلدات من أقصوصات ٠

وكيف ننسى حكمة المتصوفين وكأنها قطرات ماء سكب فحملتها الراحتان بغير نصب فى ابتهالها الى الله ٠

وأخيرا كيف ننسى أن العرب قد وضعوا فى مجال العلوم الرياضية والكيماوية من الاصطلاحات الدقيقة ما يسير اليوم فى خط متواز مع أحدث الأبحاث فى تلك العلوم ٠ وفى درس الوسائل العقلية والروحية التى استعملها بنجاح علماء العرب فى التعبير عن تجاربهم العلمية والنفسية والطبية ما يدل على قابلية اللغة العربية لنقل الأفكار المفيدة فى مفرداتها وصيغها الأصيلة ٠

واليك مثالا لذلك ما فعله محمد بن زكريا الرازى فى استدراكات شكوكه على جالينوس وغيره ، وأبو حيان التوحيدى فى اشاراته الالهية ، والبيرونى فى تاريخ الهند ، والأصوليون من الشافعى الى ابن قيم الجوزية وابن الهمام فى تجاربهم الاجتماعية ٠

ولا يعوز اللغة العربية فى العصر الحاضر الا أن تخصص ألفاظ من مفرداتها للدلالة على ما استحدث فى شئون العلوم والفنون ٠ ولن يرهقنا هذا من أمرنا عسرا ، لأن فى بطون معجمات هذه اللغة آلافا من الكلمات المهجورة والمستعملة مما يصلح أن يوضع لهذه المسميات الحديثة ٠

ولنا فى هذا الصدد أسوة حسنة فيما فعله العرب أنفسهم فى صدر الاسلام والعصر العباسى ٠ وهذه هى احدى الغايات التى يعمل على تحقيقها « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة ٠

ونقف هنا وقفة يسيرة لبيان الكارثة التى تصيب ثقافتنا اذا استخدمنا العامية فى العلوم والآداب والشعر والخطابة والنثر وشتى مناحى التفكير ، كما يدعو الى ذلك جماعات الشعوبيين أعداء العرب

والعروبة وعملاء الاستعمار لتحقيق أغراضه الهدامة .
فالعامية لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها ، لايشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي ، وتكاد تكون مجردة من المترادفات . وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعاني الدقيقة ولا عن حقائق العلوم والآداب والانتاج الفكري المنظم . ولا أدل على ذلك من أننا في حديثنا العادي نفسه كثيرا ما نضطر الى استخدام العربية الفصحى واقتباس مفرداتها وقواعدها حينما تكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وأفكار مسلسلة ، لا نفعل ذلك للمباهاة أو اظهار القدرة على التعبير الفصيح ، وانما نفعله مضطرين اضطرارا ، لأننا نرى أن العامية لا تسعفنا في مفرداتها ولا في قواعدها بما يضبط تفكيرنا وينقله نقلا صحيحا الى الأذهان .

وانا اذا طلبنا الى الذين يدعون الى استخدام اللغة العامية في الكتابة أن يكتبوا بهذه اللغة كلمة يعبرون بها عن وجهة نظرهم نفسها ويسوقون فيها الأدلة على صحة رأيهم فانهم لا يجدون في مفرداتها ما يتيح لهم الابانة عما يريدون الابانة عنه .

فاذا لم نجد أمامنا الا اللغة العامية نستخدمها في جميع شئون تفكيرنا وتعبيرنا لتقطعت بنا أسباب الثقافة ، ونكصنا الى الوراء قرونا عديدة ، وقضى على نشاطنا الفكري قضاء مبرما . لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية في التعبير خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفساف التأملات . فاللغة هي القالب الذي يصب فيه التفكير : فكلما ضاق نطاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ضاق نطاق الفكر واختل انتاجه .

هذا ، وقد حاول كثير ممن في قلوبهم مرض أن ينتقصوا من قيمة ماتملكه العربية الفصحى من ثروة في المفردات وغزارة في المترادفات ، فزعموا أن كثيرا من عناصر هذه الثروة مزيف مصنوع قد خلقه جامعو المعجمات خلقا لحاجات في نفوسهم .

ولا يقدم هؤلاء بين يدي فريتهم هذه الا شبه دليل واحد ، وهو أن اللهجات العامية المتشعبة من العربية الفصحى محدودة المفردات ، وتكاد تكون مجردة من المترادفات . فلو كانت أمها الأولى بهذه الغزارة في مفرداتها ومترادفاتها لانتقل شيء من ثروتها اليهن جميعا أو الى بعضهن على الأقل .

وفساد هذا الرأي لا يحتاج الى بيان :

فلهجات المحادثة في جميع الأمم تقتصر في العادة على الضروري ، وتنفر من الكمالي ، وتنأى عن مظاهر الترف في المترادفات وما الى ذلك . ولذلك تتسع دائما هوة الخلاف بينها وبين اللغة الفصحى في هذه الناحية . فليست العربية فذة في هذا الباب بل تشترك معها فيه جميع لغات الآداب أو اللغات الفصحى .

واليك مثلا اللغة الفرنسية الفصحى أو لغة الكتابة واللغة الفرنسية المستخدمة في التخاطب العادي . فالفرق بينهما في المفردات لا يكاد يقل عن الفرق بين العربية الفصحى واللهجات العامية الحديثة المتفرعة عنها .

أما جامعو المعجمات فيدلنا التاريخ وتدلنا آثارهم على شدة حرصهم على تحري الحق . فقد استخلصوا معظم ما اشتملت عليه معجماتهم من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي نزل بلسان عربي مبين ، ومن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن الآثار العربية في العصر الجاهلي والعصور الاسلامية الأولى ، واستخلصوا بعضه من العرب المعاصرين لهم . وكانوا شديدي الحيطة في هذه الناحية الى حد الافراط . فكانوا يتحاشون الأخذ عمن تشوب عربيته أية شائبة . ولذلك كانوا لا يكادون يأخذون الا عن عرب البادية لفصاحة ألسنتهم ، وبعد لهجاتهم عن التأثر باللغات الأعجمية ، وعزلتهم وقلة احتكاكهم بغيرهم . فكانوا يترقبون مجيء أعراب البادية الى المدن في التجارة أو غيرها فيستمعون الى حديثهم ويناقشونهم في مختلف شئون اللغة ، ويدونون من فورهم كل ما يهديهم اليه هذا الحديث وترشدهم اليه هذه المناقشة بصدد مفردات اللغة ودلالتها ووجوه استخدامها . وكانوا يتبعون أحيانا ما تسميه علماء اللغة « طريقة الملاحظة السلبية » ، فيرحلون الى

البادية ويقضون فيها بين ظهرانى الأعراب الأشهر بل السنين يعاشرونهم ويستمعون اليهم فى أحاديثهم الطبيعية ويدونون ما يقفون عليه فى هذا السبيل. وفى ذلك يقول أبو نصر الفارابى صاحب معجم « الصحاح » فى كتابه« الألفاظ والحروف »: «والذين عنهم نقلت اللغة العربية بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ،ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم أهل الشام واكثرهم نصارى يقرءون العبريات ،ولا من تغلب لمجاورتهم الروم،ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة والهند ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن من المعينيين وغيرهم وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز لأن السنة أهلها كانت قد فسدت حينئذ لامتزاجهم بأمم كثيرة » . ويقول ابن خلدون : « وكانت لغة قريش أفصح اللغات واصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم . فأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغاتهم تامة الملكة لمخالطة الأعاجم . وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية » .

ومما اتخذوه من وسائل الحيطة حيال القبائل والأمكنة اتخذوا مثله حيال الأزمنة والعصور . فلم يأخذوا الا عن العصور التى كان فيها اللسان العربى سليما لم يصبه بعد تبلبل أعجمى ولا انحراف عن أوضاع اللغة الفصحى . ولذلك لم يأخذوا الا عن عرب الجاهلية والاسلام الى نهاية القرن الثانى الهجرى بالنسبة الى فصحاء الحضر والى أواسط الرابع بالنسبة الى فصحاء البادية ، وسموا هذه العصور « عصور الاحتجاج » ، وأهملوا ما عداها مبالغة فى الدقة وحرصا على تحرى وجوه الصدق واليقين .

هذا ، وينبغى ألا يعزب عن بالنا فيما يتعلق بمترادفات اللغة العربية الملاحظات الآتية :

١ ـ أن كثيرا من الكلمات التى تذكرها المعجمات على أنها مرادفة فى معانيها لكلمات أخرى غير موضوعة فى الأصل لهذه المعانى ، بل مستخدمة فيها استخداما مجازيا . ولم يعن بتمييز الحقيقى من المجازى الا بعض المعجمات كالأساس للزمخشرى .

٢ ـ أن الأسماء الكثيرة التى يذكرونها للشىء الواحد ليست جميعها فى الواقع أسماء ، بل معظمها صفات مستخدمة استخدام الأسماء . فكثير من الأسماء المترادفة كانت فى الأصل نعوتا لأحوال المسمى الواحد ، ثم تنوسيت هذه الأحوال بالتدريج وتجردت مدلولات هذه النعوت مما كان بينها من فوارق ، وغلبت عليها الاسمية . فالخطار والحطام والباسل والأصيد ... من أسماء الأسد يدل كل منها فى الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر . وكذلك ما يعد من أسماء السيف : كالمصمم والهندى والحسام والعضب والقاطع ... وهلم جرا.

٣ ـ أن كثيرا من الألفاظ التى تبدو مترادفة هى فى الواقع غير مترادفة ، بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التى يدل عليها غيره.واليك مثلا:رمق ولحظ وحدج وشفن ورنا. وما الى ذلك من الألفاظ التى تدل على النظر ، فان كلا منها يعبر عن حالة خاصة للنظر تختلف عن الحالات التى تدل عليها الألفاظ الأخرى . فرمق يدل على النظر بمجامع العين ، ولحظ على النظر من جانب الأذن ، وحدجه معناه رماه ببصره مع حدة ، وشفن يدل على نظر المتعجب الكاره ، ورنا يفيد ادامة النظر فى سكون ... وهلم جرا .

« د. على عبد الواحد وافى »

.. وما أدراك ماهيه؟

بقلم: محمود محمد شاكر

- ١٢ -

ما على القارىء بأس ان شاء الله ، اذا هو أضنى نفسه معي في التجوال والتنقل . فلقد كان من حق هذه الكلمة أن تتابع القول في قضية «العامية واستبدالها بالفصحى» يوم تولى كبرها احمد لطفي السيد ، «معلم الجيل» ، كما أرادوا له أن يكون ! ولكن ربما جد من الأمر ما يلفتني عن المتابعة ، فأنا عندئذ أجترىء على الانفتال بوجهي الى حيث ينبغي أن انفتل ، ثقة بحسن ادراك القارىء للصلة الوثيقة بين هذه القضية ، وسائر القضايا التي تعترض طريقي وطريقته . لأن المنبع الذي تتدفق منه هذه القضايا على عالمنا العربي والاسلامي ، منبع واحد ، ان شئت أن تسميه « الاستعمار » أصبت ، وان شئت أن تسميه « التبشير » أصبت ، وان شئت أن تسميه « الاستشراق » أصبت ، لأن هذه الثلاثة أسماء متباينة لحقيقة واحدة ، كما بينت ذلك فيما سلف .

وأظن القارىء لم ينس قط أني بدات مقالاتي هذه بالكلام عما كتبه لويس عوض عن شيخ المعرة ورسالة الغفران ، ولكني انتهيت الى قضية العامية ومكايد المبشرين ، وذلك لأن بناء ما كتبه صبي المبشرين عن شيخ المعره ، قائم على أسس تبشيرية تتخفى تحت ثياب متكرة من الدراسة الأدبية . وقد بينت آنفا أن هذا الصبي الدعي « الشرلتان » ، انما مكن له أن يعبث هذا العبث وينشره على الناس ، أن صحيفة الأهرام اتخذته مستشارا ثقافيا يشرف بسلطانه على مادة الثقافة في مؤسسات الأهرام ، وأنه كان قبل ذلك انسانا مغمورا مغموزا في تكوينه الثقافي والادبي . ولا ندري كيف أتيحت له هذه الفرصة ؟ وكيف اختير ليقوم في أكبر صحيفة في العالم العربي والاسلامي ، متعريا متجردا من كل حياء ، لكي يتحدى ملايين العرب والمسلمين بكل سوأة من سوءاته ، معالنا غير متستر ؟ أما الآن ، وقد رفع الستار عن خباثته التي يرتكبها ، فانه قد لجأ الى الحيلة القديمة التي كان قد أذاعها في « بلوتولند » ، حيث دعا الى العامية المصرية ، والى ترجمة القرآن الى هذه العامية ، ثم قال انه وجد الناس قد استنكروا دعوته ، فلذلك سكت : « مؤثرا أن يتولى البيان عن رأيه مسلم لا مجال للطعن في نزاهته»!! أو كما قال . قال ذلك سنة ١٩٤٧ ، أيام كان مغمورا مغموزا لا يعرفه أحد ، ولكن العجيب أنه قد حقق هذا القول ، واجتمعت له عصابة تعبر عن رأيه الذي قاله في « بلوتولند » ، و « بمستشاريته » ، استطاع أن يجعل صحيفة الأهرام أيضا أداة للتعبير عن هذا الرأي في صور مختلفة ماكرة .

بيد انه لم يقنع بذلك ، بل أراد أن « يتحدى » الناس بصورة أخرى ، متذرعا بنفس الحيلة . فقد ذكرت في المقالة السالفة أن المبشر ولسن كاش قال : « ان الصحافة لا توجه الرأي العام فقط ، أو تهيئه لقبول ماينشر عليه . بل هي تخلق الرأي العام . وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا في أي بلد اسلامي آخر . لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، اما مأجورة في أكثر الأحيان ، أو بلا أجرة في أحوال نادرة » . وهذا قول قديم ، قد جاء بعده ماعفى على آثاره ، فان الصحافة المصرية اليوم ، قد نفشت فيها خطاطيف التبشير تحت ثياب مزركشة من ادعاء القومية والوطنية والاصلاح ، ونعقت بما شاءت بلا حسيب أو رقيب . وحسبك مثلا هذا «الكاهن» الذي كشفنا عنه وعن مضمر دعوته وأساليب تغريره ، والذي استطاع أن يمد سلطانه على أكبر صحف العالم العربي والاسلامي، ليطبع مادة الثقافة فيها بطابع دعوته الخبيثة التي تؤول آخر ما تؤول، الى استلحاق الفكر العربي والاسلامي استلحاق العبودية والخضوع والخشوع لسلطان الثقافة الاوروبية التي نبعت ، بلا ريب في ذلك ، من الفكر المسيحي الأوروبي ، كما يقول اليوت وتوينبي

وغيرهمـــا ، ممن يعبرون عن الحقيقة ، دون حاجز يحجزهم عن التعبير ، أو يدعوهم الى تزوير الحقائق ابتغاء التغرير .

والحيلة التى لجأ اليها «صبى المبشرين» فى هذه المرة ، وفى مرات كثيرة سبقت ، هى أن يختار مسلما يرتضيه هو ، ليكتب له بعض ما لا يجب أن يوقع عليه باســمه المحترم ، خدمة لهـــدف من أهـداف التبشــير القـديمة المألوفة الى اليوم ، وهو بث المعلومات التاريخية أو الأدبية ، متضمنة عقيدة العالم المسيحى ، وكأنها تاريخ مسلم به ، أو معترف به عند جميع الناس ، ونشر ذلك على أبنـاء العـــرب والمسلمين ، المتطلعين الى الاستفادة والمعرفة ، بلا اشارة الى موضع اختلاف أو تباين ، ليكون ذلك أسرع الى القلوب ، ان لم يأخذها أخذة رابية ، تترك فيهـــا نكتة سوداء تدعو يوما ما الى التشكك والحيرة .. فهذا « المستشار الثقافى » !! لأكبر مؤسسة صحفية فى بلاد العرب والمسلمين ، قد أراد ، ولا مراد لارادته ، أن يتخـــذ صحيفـــة الاهرام وسيلة لتحقيق مآربه ومآرب من اصطنعوه ودربوه واستخدموه ، من أهل « الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » ، كما قال بلسانه . ويفعل ذلك ، بعد الكشف عن حقيقته ومكانه من حركة « التبشــير » ، التى شرحتهـــا فيما سلف ، ليقول لمن اصطنعوه : انظـروا ، كيف أتحدى ؟ ويهز رأســـه متلفتا يمنة ويسرة ، اعجابا بنفسه ، وعلى ثغره المحترم أيضا ابتسامة عاقلة فى غلالة من حياء وخفر !! مسكين هذا المفلت من القيود والأسوار !

وهذه الحيـــلة التى يظنها جديدة ، معروفة مألوفة فى حارات القاهرة ، فان جماعات التبشير لم تزل منذ زمان تعمـــد الى حارات القـــاهرة وأزقتها ، حيث تتجمع الآلاف الـكثيرة من أبنـاء العرب والمسلمين فى بيوت مكتظة بسكانها ، فتودع أكف الأطفال وغير الأطفال ، كتبـــا صـــغيرة أو منشورات فيها شىء كثير من عقائد المسيحية ، مسوقة فى خلال قصص الأنبياء الماضين ، ليقرأها الصغار وأشباه الصغار ، وتتناقلها الألســـن ، ويبقى أثرها فى بعض النفوس ، فيكون ذلك نجاحا ، فيما يظنون ، فى بث عقائدهم خلال عقـــائد هؤلاء الصغار بالحيلة والتدسس . وهذا شىء يجرى ، ونحن فى غفلة عنه ، وبلا رقابة ممن تجب عليهم رقابة هذا الضرب من المـــكر التبشيرى بالناس . ولكن مما يضعف أثر هذا المكر ، أن الذين يتلقونه انما يتلقونه مرتابين ، لانه يوزع عليهم فى الخفاء . وهذا الخفاء يستثير الحذر ، ويضيع أثر هـــذه المنشورات فى أكثر الأحيان . ومع ذلك ، فان ترك مراقبته فيه اثم كبير .

غير أن لويس عوض ، صبى المبشرين ، أراد أن يستدخل هذه الوسيلة فيما يقع عليه ســـلطان « المستشار الثقافى لمؤسسات الأهرام الصحفية » ، فعمد الى الباب الذى سماه « دائرة المعارف » ، ليسلك الى النفوس نفس المسلك ، ويكون عندئذ خطرا محققا ، لأن ثقة الناس ، والشباب خاصة ، بصحيفة الاهرام ، وعدهم اياها مصدرا من مصادر معرفتهم وثقافتهم ، يمهد للكلمة أن تستقر وتثبت فى النفس والعقل ، بلا ارتياب وبلا حذر .

فمن أجل ذلك ، وجدته حقا على لا أدرى كيف أنتصى منه ، أن أتخلل حديث قضية العامية ، وهى قضية أثارها التبشير وسقاها ونماها ، بقضية هذا المكر المتحدى السافر فى باب «دائرة المعارف» من صحيفـــة الاهرام ، وهى قضية تبشـــير أخرى ، بينهما من الصلة ما بين الأخوين لأب وأم .

وأنا ، وان كنت لا أرتاح الى هذا اللفظ « دائرة المعارف » لأنه ترجمة سقيمة ، وأوثر عليه اللفظ الذى شاع عند أسلافنا وجهلناه اليوم ، وهو لفظ « الجمهرة » ، فى مثل هذا المعنى نفســـه ، فانى أقدم بين يدى كلامى موجز معنى « دائرة المعارف » ، لأى شىء وضعت . فالجمهرة أو « دائرة المعارف » ، انما هى مؤلف يتضـــمن معرفة صحيحة سليمة وافية عن كل موضوع يحتاج الناس الى معرفته ، ويستوعب فى كل مادة من مواده خلاصة ما ينبغى أن تعرفه عن هذا الموضوع أو ذاك . أما المراد من تصنيف « الجمهرة » أو « دائرة المعارف » ، فهو أن تيسر لكل طالب معرفة من الأمة التى وضـعت الجمهرة بلســـانها ، مادة تطابق الحق ، وتطابق ثقافة الأمة ، وتطابق عقـــائد هـــذه الأمة وتاريخها وحضارتها كلها على امتداد عصـــورها فى التاريخ المتقادم . فليس من المعقول ، اذن ، أن يكتب كاتب فى جمهرة تصنف فى أمة مسيحية العقيدة ، فى مادة

« المسيح » مثلا ، كلاما يتضمن معرفة تخالف فى أصولها معارف النصارى عن المسيح ، وتطابق معارف أهل الاسلام عنه ، مع تمام الاختلاف والتباين بين المعرفتين . هذا حق . ماذا أراد مصنف الجمهرة أن يجعلها ملمة بأطراف معارف الناس عامة عن « المسيح » ، كان صواب الرأى أن يقدم ذكر معارف أهل ملته التى صنف الجمهرة من أجلهم ، ثم يعقب عليه بما شاء من معارف أهل الملل الأخرى . هذا صريح المعقول ، أليس كذلك !

ولكن « المستشار الثقافى لمؤسسة الأهرام » ، تأبى عليه طبيعة عمله أن يكون العقل شيئا مذكورا ! لأنه ليس عاقلا بالمعنى المتعارف ، بل هو عاقل بعقل صبيان المبشرين ، أى بعقل يتحكم فيه هوى وهدف . وهو يرتكب فى سبيل ذلك ضروبا من العبث المبتذل ، والكيد السوقى ، اللذين يميزان طبائع المبشرين وأخلاقهم ، فى دور العلم ، وفى المستشفيات ، وفى الملاجىء ، وفى محافل المناظرة. فمن هذا المكان الذى فرض له سلطانا على ميادين الثقافة فى صحيفة الأهرام ، يريد هو أن يفرض على مئة وعشرين مليونا من العرب ، وأضعاف أضعافهم من المسلمين ، وهم قراء الأهرام ، والذين يعدون هذه الصحيفة ضربا من الكتب ، يلتمسون فيها المعرفة والثقافة ، ويظنونها مرآة لماضيهم وحاضرهم = يريد هذا العابث المكايد بالسوقية المبتذلة أن يفرض على طالبى المعرفة أن يتلقوا عنه ما يضمر من التوجيه الخبيث ، سواء أكتب ذلك بقلمه ، أم استكتب له من الناس من يرضى أن يكون حاطبا فى حبله ، ومدافعا عن رأيه ، ولسانا ينطق بما لا يجرؤ هو أن يقوله علانية ، كما وعد بذلك فى « بلوتولند » . وهذا عبث ينبغى أن ينتهى ، لأن الأمر قد خرج الآن عن أن يكون زلة يزلها سخيف متهور ، الى أن تكون خطة متلاحقة الأهداف فى هذه الصحيفة وغيرها ، لا يكاد المرء يخطئها حيث توجه به النظر فى الصحافة وسائر وسائل الاعلام. وليس من العقل أن يلجأ هذا الرجل وأشباهه من الخطاطيف المبعثرة هنا وهناك فى وسائل الاعلام ، الى هذه الذرائع الماكرة المنكرة ، لأن هذه الأمور لعب بالنار ينبغى للعاقل أن يحذره . وأنا لا أخاطب بهذا لويس عوض وأشباهه ، بل أخاطب الذين يقفون من وراء الستار ، يحركون هذه الدمى المريضة التى يدفعها التهور الى ما لا تعرف هى عواقبه . ولا حاجة بى الى الدلالة على من أخاطب ، فكل عاقل يستطيع أن يقف على الأسماء الثلاثة لمسمى واحد ، وهى « الاستعمار » و « التبشير » و « الاستشراق » ، ثم يستطيع أن يرى أن لها هدفا واحدا فى صميم حياتنا يراد أن يصيبه السهم القاتل ، فى أوان من الانتفاضة يتطلب تحقيق ما أخطأناه فى ماضينا ، بالاهمال تارة ، وبالخيانة تارة أخرى ، وبتحويل حركة الاحياء عن الوجه الصحيح الى وجه فيه هلاك الأمة ، وذل الدهر ، وعار الأبد . وقد كان لنا فيما سلف عظة .

فى عدد الأهرام الصادر بتاريخ ٣٠ رمضان سنة ١٣٨٤ (أول فبراير سنة ١٩٦٥) ، أراد هذا المعى أن يتمادى بتبشيره الذى كشفت عنه مرارا فيما سلف ، فذهب يستكتب كاتبا من المسلمين ، ليكتب له مادة « يعقوب النبى » . ولكن هذا الكاتب المسلم لم يزد على أن استنسخ ، أو ترجم، أو اقتبس ، أو اختصر ، معارف أهل الكتاب عن « يعقوب » عليه السلام ، بما يطابق عقيدة أهل الكتاب فى الأنبياء ، وبألفاظ من ألفاظهم ، دون أن يلقى بالا ، أو دون أن يحفل بأن هذه « المعرفة » المستجلبة ، سوف يقرؤها الملايين من العرب والمسلمين ، ومن شبابهم وطالبى المعرفة منهم خاصة ، وأن عقيدة هذه الملايين مباينة كل المباينة لعقائد سائر الملل من كتابية وغير كتابية فى معنى « النبوة » و « الأنبياء » . وليس من العقل فى شىء أن يفرض هذا الكاتب ، أو مستكتبه ، على طالب المعرفة من القراء ، أن يتلقى عنه ما يبلبل عقيدته ، أو يرتكس به فى حيرة لا يملك معها أداة للفصل بين ما يقدم له ، وما تستلزمه عقيدته من تنزيه الأنبياء ، وعصمتهم عن الاخلال بحق النبوة . هذا مع ما نعيده ونكرره ، من أن ثقة القارىء بصحيفة الاهرام ، مدعاة الى الامن والى الاطمئنان الى ما ينشر فيها ، لأنه لا يشك فى أن محررى هذه الصحيفة انما يرجون بما يكتبون نفعه وتثقيفه ، فهو لا يكاد يرتاب فى شىء مما ينشرون فهذا الفعل اقدام وجرأة على غش الناس ، والشباب خاصة ، بأسلوب لا يختلف فى شىء عن أسلوب توزيع المنشورات فى أزقة القاهرة وحاراتها ، وفى كثير من القرى والريف ، حيث يحاول المبشرون أن يلحقوا بعقيدة الملايين المسلمة مايشتهون من الفساد

والبلبلة والاضطراب ، طلبا لاضعاف تكوين الامة الثقافى ، الذى يفضى الى تدمير كيانها السياسى ، وهذا أسلوب معروف قد أشرت اليه فى المقالات السالفة .

فمما جاء فى باب « دائرة المعارف » من صحيفة الأهرام ، فى ذكر يعقوب عليه السلام ، انه كان بين الأخوين التوأمين : العيص « عيسو » ، ويعقوب : «تنافس قوى حول من يكون كاهن الأسرة ومستودع أسرار السماء » ، وان العيص : « نزل من بطن أمه أولا ، واعتبر لذلك الابن الأكبر ، واستحق لذلك حقوق الابن البكر ، وكان من أهمها حسب التقاليد : أن يكون المسئول الأول عن الأسرة بعد وفاة الوالد ، وأن يرث بركة السماء التى ورثها اسحق عن ابراهيم ، والتى تجعل منه كاهن الأسرة ، ومستودع أسرار السماء ، ومبلغ هذه الأسرار للبشرية ، ولكن يعقوب كان يطمح الى هذا المركز الدينى ، واستطاع بذكائه العملى الخارق أن ينتصر على أخيه ، بحيلتين : الأولى : حين اشترى منه حقوق البكورية ، وافقده بذلك سنده الشرعى التقليدى . والثانية : حين احتال على أبيه بتدبير من امه ، وحصل على البركة التى كان من المفروض أن يتلقاها عيسو (وهو العيص) » . ثم يقول : « وفى الطريق الى الحدود السورية العراقية ، حيث كان يقيم خاله لابان ، رأى يعقوب رؤياه التى عدها وحى السماء ، والتى وعد فيها يعقوب بأن يكون ذلك المكان الذى رأى فيه تلك الرؤيا له ولأبنائه من بعده » . ثم يقول : « أقام يعقوب بعد العودة الى أرض شكيم ، نابلس ، وعاوده الوحى فى شكل الرؤى والأحلام ، وأخذ يحارب الوثنية ، ويدعو الى نبذ الأوثان والأصنام ، وعبادة الواحد الديان ، فلم تستجب له القبائل الكنعانية ، وناصبته العداوة ، ورحل الى الجنوب ، وأقام فى منطقة بئر سبع ، وظل هناك الى أن كانت رحلته الى مصر ، مع أبنائه وأحفاده » .

وهذا الكلام على سقم عبارته ، وركاكة ألفاظه ، ومشابهته للغة منشورات المبشرين التى يدسونها فى أيدى أطفال الأزقة والحارات خلسة وخيفة وترقبا ، كلام يتبرأ بعضه من بعض . ولست أدرى كيف يطيق امرؤ مسلم قرأ القرآن العظيم ، أو سمع آيات الله تتلى عليه ، مما فيه ذكر أنبيائه ورسله ، أن يقرأ هذا الضرب من الكلام عن نبى من أنبياء الله صلوات الله عليهم فضلا عن أن يخطه بيمينه ويستودعه الورق ، بل أن يرضى نسبته الى نفسه ، بل أن يذيعه على القراء الذين يعلم أنهم مثله مسلمون ، مذيلا بتوقيعه ؟ لست أدرى كيف كان ، ولكنه كان ، لأن أحد صبيان المبشرين قد خول سلطانا بقبض وببسط !! فهو به قادر على أن يستكتب من شاء ما شاء ، بلا حرج عليه .

وهذا الكاتب قد استخدم فى معرض الحديث عن ثلاثة من أنبياء الله صلوات الله عليهم : « كاهن الأسرة » ، و « مستودع أسرار السماء » ، و « مبلغ هذه الأسرار للبشرية » ، و « المركز الدينى » ، و «الوحى» مفسرا بأنه الرؤى والاحلام !! وهؤلاء الانبياء الثلاثة من رسل الله وانبيائه الذين لا يتم لنا ايمان الا بالايمان بهم وتوليهم ، والبراءة ممن يتبرأ منهم ، أو من ينسب اليهم من الأفعال والاعمال والصفات ما يخل بعصمة الانبياء وحقوق النبوة .

ومع ذلك ، فان كاتب هذه الكلمات لم يذكر فى كلماته قط أن يعقوب كان نبيا من أنبياء الله ، بل أقام مقام لفظ « النبى » الذى لا نعرف ليعقوب صفة غيره ، لفظ « كاهن الأسرة » ، و « مستودع أسرار السماء » ، و « مبلغ هذه الأسرار البشرية » ، وان هذه الثلاثة هى « المركز الدينى » ، الذى كان يطمح اليه نبى الله يعقوب عليه السلام . ولا ندرى لماذا فعل الكاتب ذلك ، مع مخالفته تمام المخالفة لما نعرف نحن من معنى «النبوة» ، ومع مخالفته ايضا لما يصف به أهل الكتابين يعقوب عليه السلام من أنه « أحد الآباء الثلاثة الكبار للعبرانيين » ، يعنون ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وليس من صفته عندهم أنه « كاهن الأسرة » ، أو « مستودع أسرار السماء ، ومبلغها الى البشرية » !!

ولفظ « الكاهن » عند القوم ، هو الذى ينحر الذبائح المفروضة فى اليوم أو الاسبوع أو الشهر ، ويتولى فوق ذلك ضروبا من الخدمة فى محافل العبادة . كالعناية بالآنية المقدسة ، والنار المقدسة ، وحمل تابوت العهد ، وسائر ما هم مكلفون به من فرائض . ولكن هذا النظام لم يكن له أصل قديم

على عهد ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام ، بل هو مما افترضه عليهم ، فيما يقولون ، موسى عليه السلام ، كما جاء في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج مفصلا مشروحا .

فهذا شيء كان بعد أنبياء الله الثلاثة بقرون متطاولة وليس لهذه الوظيفة التي افترضت على سلالة هرون عليه السلام ، مدخل في شأن النبوة والأنبياء . والذي له شبهة تمس هذا المعنى ، هـو اللفظ العربي : « الكاهن » ، وهو عنـد العرب ، الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الاسرار ، كشق وسطيح وغيرهما ، وهو شبيه بالعراف والمنجم ، ولكن ليس للكاهن عند العرب صفة دينية ينسب اليها . فهذا خلط سقيم جدا بين معنيين متباينين ، لا يقوله الا جاهل بحقيقة ما عليه ألفاظ القـوم من أهل الـكتابين ، وغافل عن حقيقة ألفاظ العرب التي تدور في كلامهم بيد أنه جمع في هذه العبارة بين مايراه أهل الكتاب في معنى « النبي » ، وهو مخالف لما عندنا ، وبين ما يقوله العرب عن العرافين والمنجمين والكهنة من الاكاذيب والاباطيل التي يتعـاطونها انبـاء عن المستقبل ، وعن معرفة الأسرار المغيبة ، فاخترع لنبي من أنبياء الله عليهم السلام صورة مختلسـة مزورة من ألفاظ مبهمة المعاني عنده ، فقـال عن يعقوب « انه نافس أخاه حول من يكون كاهن الاسرة ومستودع أسرار السماء » . وهـذا خلط ، أعجب كيف فات على صبي المبشرين الذي تولى نشر هذا فيما وقع عليه سلطانه من صحيفة الاهرام !! وان كنت على يقين من أنه لا يصلح أن يكون فقيهـا في الكتاب الذي يدعي الانتساب اليه .

وعسى أن يتمحل متمحل فيزعم أن هذا الكاتب المخلط بين معنى « النبي » عند أهل الـكتاب ، و « الكاهن » عند العرب ، لم يرد بالكاهن النبي ، ولكن هذا باطل لايخفى ، لانه قال ان الابن البكر من حقوقه حسب التقاليد : أن يكون المسئول الاول عن الاسرة بعد وفاة الوالد ، وأن يرث بركة السماء (وهذه أعجب العجب !! هل سمع بمثلها مسلم قط ؟) ، التي ورثها اسحق عن ابراهيم ، والتي تجعل منه كاهن الاسرة ، ومستودع أسرار السماء ، ومبلغ هذه الاسرار للبشرية ، ولـكن يعقوب كان يطمح الى هذا المركز الديني » ، فأي وراثة ورثها ، فيما يزعم الكاتب ، اسحق نبي الله عن ابراهيم خليل الله ، سوى « النبوة » ، التي سماها الكاتب « بركة السماء » ؟ ثم جعل « بركة السماء » هذه ، هي « التي تجعل منه كاهن الاسرة ، ومستودع أسرار السماء ، ومبلغ هذه الاسرار للبشرية » . وأي « تقاليد » هذه التي كانت على عهد ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، أهي « تقاليد البكورية » ؟ ان هذه الالفاظ التي اختطفها من ألفاظ القوم في كتابهم موضوعة في غير مكانها ، لان أمر « البكورية » وقواعدها ، انما جاءت فيما زعم أهل الكتاب ، في شريعة موسى ، كما اشـار اليه كتابهم في سفر الخروج ، في الاصحاح الثاني والعشرين ، أن الله قال : « وأبكار بنيك تعطيني » ، أي أن يهب بكره لعبادة الله ، وأن يكون البكر خلفا لأبيه اذا خرج من داره ، وأن يعطى سهما زائدا على سهام اخوته من مال أبيه ، وأن يرث ملك أبيه اذا كان ملكا على بني اسرائيل . وهذه شرائع موضوعة متأخرة جدا على زمان ابراهيم واسحاق ويعقوب .

ونحن المسلمين . لا نقر شيئا من هذا كله في شأن ابراهيم وبنيه ، لأن الله تعالى يقول في سـورة البقرة : « أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أانتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون » . ويقول في سـورة آل عمران : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى النـاس بابراهيم للذين اتبعوه وهـذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين . ودت طائفة من أهل الـكتاب لو يضلونـكم وما يضـلون الا أنفسـهم وما يشعرون » .

فهذا نص من الله سبحانه على موضـع النزاع بيننا وبين أهل الكتاب وغيرهم ، في نسبة بعض ما دان به اليهود بعد مئات السنين ، الى أنبياء الله المسلمين الذين لم يـكونوا قط يهـودا ولا

نصارى بل كانوا مسلمين لله سبحانه ، كما قال الله سبحانه فى سورة الحج : «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس» .

فبأى حق بعد ذلك، يأتى كاتب فينشر على الناس فى صحيفة الاهرام التى يتولاها صبى مبشر ، كل هذا الخلط المعيب فى دين الله الاسلام ، مع خلطه أيضا فى المفهوم المعروف من ديانات أهل الكتاب ، مستخدما فى ذلك ألفاظا مخالفة لألفاظ أهل الاسلام ، ومشابهة ، على خطتها ووضعها فى غير موضعها ، لألفاظ أهل الكتاب ؟ ألهذه المشابهة وحدها ينشرها صبى المبشرين ، حتى تذيع بين المسلمين الغافلين عن هذا الضرب السخيف من المكر ؟ (وراجع أيضا ماكتبته فى المقالة التاسعة ، عن الرغبة فى ذيوع ألفاظ « الخطيئة ، والفداء ، والصلب ، والخلاص » ، فالاسلوب واحد لايختلف، والهدف المقصود فيهما جميعا هدف مستشنع لا خير فيه) .

وأدع هذا الآن الى ما جاء فيما نقلته آنفا فى شأن يعقوب عليه السلام وسيرته . وذلك ما ذكره الكاتب باختصار غريب عن سفر التكوين فى الاصحاح الخامس والعشرين والسابع والعشرين ، من ارتكابه شر الحيل فى شراء « البكورية » من أخيه العيص «عيسو» ، وما تواطأ عليه هو وأمه من غش أبيه اسحق عليه السلام وخديعته حتى سرق منه «البركة» التى كان حقها لأخيه العيص . ومثل هذه الاخبار شائعة عن الانبياء فى كتاب القوم بلا حرج منهم فى ذكرها واثباتها ، ويلتمسون المخرج منها بضروب من الاحتجاج معروفة لمن يطلبها . ونحن المسلمين ننزه أنبياء الله عن ارتكاب الكبائر الموبقة، قبل النبوة وبعد النبوة ، لان الله هو الذى يصطفى من رسله من يشاء ، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وما كان الله ليصطفيهم من شرار الخلق بل من خيارهم وأكرمهم عليه وعلى الناس . ولا نرى أن نبيا يختاره الله للنبوة ، كان يكون فى ماضيه محتالا ينال مطمحه بالغش والخديعة والتخابث على أبيه حتى ينال بركته . فان فعل ، فان الله ليس له مكره حتى ينزل بركته على هذا المحتال ، دون أخيه الذى خدع عن حقه . فهذا كله قدح فى النبى ، فى ديننا ، واكراه لله سبحانه على ماليس لأحد من خلقه أن يكرهه عليه بدعاء أو غيره . ويعقوب عليه السلام خاصة ، قد نزلت فيه آية صريحة فاصلة أنه كان عند الله قبل أن يولد ، هو النبى المبشر به جده ابراهيم عليه السلام ، وذلك اذ يقول الله سبحانه فى سورة هود ، حين ذكر خبر الملائكة الذين جاءوا ابراهيم بالبشرى : « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب» ، ويقول فى سورة مريم ، لما ذكر أبراهيم عليه السلام ، لما اعتزل قومه وما يدعون من دون الله : «فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا » ، الى آيات أخر . فهذا الجزء الصادق عن الله سبحانه فى شأن يعقوب عليه السلام ، انه كسائر الانبياء ، كان عند الله نبيا مسمى فى سابق علمه الذى لا يتبدل ولا ينسخ . إن أباه وجدته قد بشرا به فسمى باسمه قبل أن يولد أبوه اسحق عليه السلام . فهذا المفهوم من صريح القرآن ، وهو الذى أنزله الله سبحانه على نبيه محمد صلى عليه وسلم . وقال فى صفته فى سورة المائدة : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » ، الى آيات أخر مر بعضها ، توجب علينا أن نكون شهداء بالحق ، بما أنزل الينا من كتاب ربنا ، بلا مواربة فى ذلك ولا خداع ولا مداهنة .

هذا ، فضلا عن البيان الصادق ممن لا يسعدنا

خلافه ، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد في مسنده ، من طريق مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله : « **ان عمر بن الخطاب اتى بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فغضب وقال : أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب (التهوك التحير حتى يسقط في هوة) والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية . لا تسالوهم عن شيء ، فيخبروكم بحق فتكذبونه ، او بباطل فتصدقونه . والذي نفسي بيده ، لو ان موسى كان حيا ماوسعه الا ان يتبعني » ، وفي حديث عبد الله بن ثابت انه قال : « والذي نفس محمد بيده ، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم . انكم حظي من الامم ، وانا حظكم من النبيين » .**

وقد بين ذلك عبد الله بن عباس ، فيما رواه أبو عبد الله البخاري في صحيحه ، في باب الشهادات اذ قال : « يا معشر المسلمين ، كيف تسالون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله ، تقراونه لم يشب (أي لم يخلط بشيء مستحدث) ، وقد حدثكم الله ان اهل الكتاب بدلوا ماكتب الله ، وغيروا بايديهم الكتاب ، فقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ؟ افلا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسالكم عن الذي انزل اليكم ! » ، وصدق ابن عباس فيما قال في زمانه ، ولا يزال صادقا في زماننا !!

ونعم ، قد جاء الاذن ممن لاتسعنا مخالفته بالتحديث عن اهل الكتاب ، فقال صلى الله عليه وسلم ، من حديث عبد الله بن عمرو : « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ، رواه أبو عبد الله البخاري في صحيحه ، في كتاب الأنبياء ، فرفع الله عنا بذلك الحرج في معرفة مايقوله أهل الكتاب ، في قصص الانبياء ، وغير قصص الانبياء ، ولكن هذا أمر له ميزان وضوابط ، من ذلك ما قال الشافعي رضي الله عنه : « من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بني اسرائيل بما لا تعلمون كذبه . وأما ماتجوزونه ، فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم» ، وضابط ذلك أن نعرض ماجاء في كتبهم على كتابنا ، فما وافق كتابنا ، فهو حق ، وماخالفه نصا أو خالفت معانيه أو مراميه مانعلمه من ديننا ، فنحن نكل اليهم امره ، وليس لنا أن نصدقه ، وان جاز من بعض الوجوه أن نذكره أو نرويه ، ولكن لابد من بيان ذلك للناس ، حتى لانتهوك في الحيرة والتناقض والبلبلة ، فان الامر كله عندنا دين نحن مسئولون عنه يوم القيامة بين يدي رب العالمين ، وكيف لانسال عن مثل هذا ، والله وصف هذه الأمة بصفة ملزمة ، توجب عليها اليقظة في النظر ، والتحري في العلم ، ومتابعة كل شيء من أمر الدين والدنيا بحذر وبصر وأمانة ، فقال سبحانه في سورة البقرة : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وكفى بشهادة الحق أمانة يحملها العدل المتحري للصدق .

واذن فمن مخالفة نص القرآن ونص الحديث أن نعرض لاحاديث اهل الكتاب عن اخبار الأنبياء او غيرهم ، ثم نمضيها على الوجه الذي يرونه ، بلا تعقيب على وجه المخالفة بيننا وبينهم ، ولكن اكبر الاثم في حق شباب المسلمين وعامتهم ، ومن لايحسن ان يبصر وجه الحق لجهله ولغرارته وقلة معرفته ، ان تساق اليه هذه الاخبار كانها قصص وتاريخ ، بلا ادنى حذر من التهوك في تصديق مايخالف عقيدتنا في أنبياء الله ورسله . فما ظنك اذن اذا عمد انسان الى نزع صفة « النبوة » ، كما نعرفها ، عن نبي من أنبياء الله وعن آبائه ، وادخالهم في غمار الكهانة والعرافة والتنجيم والتحدث باسرار السماء ، مما هو عندنا باطل لايقبل . والذي يتحدث به الأنبياء من النذارة

والبشارة وأنباء الغيب ، ليس هو أسرار السماء ، بل هو تبليغ حق يريد الله أن يهدى اليه خلقه ، ليطيعوه ويعبدوه ويلتمسوا به الهداية الى صراط مستقيم . وما ظنك بعد اذا كان امرؤ ، يجعل نبوة النبى رؤى راء وأحلام حالم ، بلا تدبر فى معنى مايقول ؟ ان هذا لأمر جلل مخوف العواقب. وما ظنك اذا التمس هذا الكاتب كل حيلة فى التعبير ليخرج من ذكر « النبوة » ، وما تقتضيه من تنزيه النبى عن أخلاق لاتليق بالأنبياء ، ويلقى ذلك على أمة تعلم علم اليقين أن يعقوب عليه السلام نبى مرسل الى قومه ، ثم ينسب اليه أفعالا وأوصافا تقدح فى نبوته عند أهل الاسلام ؟ أليس ذلك خليقا أن يضلل النشء ويلفتهم بغرابة القصص ، عن حقيقة معنى « النبوة » ، وما تقتضيه من أخلاق ؟ وما ظنك اذا استخدم لهذا كله ألفاظا تدور عند أهل الكتاب ، أو ألفاظا شبيهة بألفاظهم دون ألفاظ أهل الاسلام ، وهو فى جميعها مخطىء فى فهم ألفاظ أهل الكتاب وغير ألفاظهم ؟

هذا عبث غث ، ولكن هكذا يريد صبى المبشرين أن يفرض على باب « دائرة المعارف » فى صحيفة الأهرام ، ماتوجبه عليه المهنة التى يزاولها منذ عاهد من عاهده ، فى الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » . وماذا يفعل الناس سوى أن يسمعوا لمن يحذرهم ، مادام هذا الطليق من القيود المفلت من الأسوار ، لايجد من ينهاه هو وأمثاله عن العبث السوقى المبتذل ؟ .

ورحم الله شيخ المعرة ، اذ يقول :

عش مجبرا أو غير مجبر
فالخلق مربوب مدبر
والخير يهمس بينهم
ويقام للسوءات منبر

وأى سوأة أقبح من صبى مبشر عابث ، يتخذ أكبر صحف العالم العربى والاسلامى منبرا ، يطرح منه على الناس مايشاء كما يشاء ، بلا مبالاة ، وبمكر وخبث ومجانة . ويقال فى المثل : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

محمود محمد شاكر

حديث مع قلبي

للشاعر: عامر محمد بحيري

أشعل الحب فى الفؤاد لهيبا
وبدا أمره لدى عجيبا
كيف ينتابنى ضرام .. ولفح
من شبابى .. وقد بلغت المشيبا
وسألت الفؤاد : ما تولا
ك ؟ فكان الجواب منه الوجيبا
طال منه الذهول ، والصمت وال
تفكير .. حتى حسبته لن يجيبا

ثم نادى فى رقة وحياء
يجعلان النداء همسا قريبا
لم لا يا أخى .. أليس وجودى
مانحى من هوى الحياة نصيبا
أنا قلب يحس .. والحب جمر
لم يزل نفح ناره مشبوبا
حين مسته أصبعى .. خفق الطا
ئر .. يبغى فى الجو صدرا رحيبا
لا تلمنى .. وقل لى الشعر عذبا
أو فزدنى من الجوى تعذيبا
خل ما صغته من الشعر .. لكن
لا تخل الغناء والتشبيبا
قلت : حقا ياصاحبى انت قلبى
لست عنى ، ولست عنك غريبا
أنا أدرى بما دهاك .. لأنى
عنك بالصبر كم دفعت الخطوبا
عالم منك ما جهلت .. فقد شب
بت .. وما زلت أنت غضا رطيبا
أبد الدهر فى الجوانح منى
ساكنا ، خافقا ، رضيا ، غضوبا
سل من الحب ما تشاء .. تجدنى
لك ما عشت مانحا مستجيبا
قل لها اننى سأهجر شعرى
كله .. لن أقول الا نسيبا
واذا شابت الطبيعة من حو
لى .. فقلبى فى حبها .. لن يشيبا

من مزالق المستشرقين

بقلم: عمر الدسوقي

لا اود فى هذا المقال أن أجحد ما لبعض المستشرقين من آثار فى خدمة اللغة والأدب ، ونشر التراث العربى واحيائه ، مهما كان الدافع لهم على ذلك أول الأمر ، وان كانت لهم حتى فى هذا الميدان أخطاء كثيرة ترجع الى جهل بالمصطلحات العربية وعدم معرفة بأسرار اللغة والنفاذ الى روحها وتاريخها . ولكنى أود أن أكشف عن ظاهرة تكاد تكون عامة لديهم ، وهى أنهم اذا كتبوا عن الاسلام أو عن العرب نزعوا فى كتاباتهم الى ما ينم عن تعصب ، وأعماهم هذا التعصب فى كثير من الاحيان فوقعوا فى أخطاء فاحشة . ولولا أن هناك من ضعاف الايمان من لا يزال يفتن بما يقولون ، ويردده من غير وعى ، ودون أن تكون لديه متعة من الانزلاق فى مهاوى الضلالة وهو يسايرهم ـ ما عنيت بتبيان بعض تلك المزالق فى هذا المقام .

وليس المستشرقون سواء فى تعصبهم ، ولعل من أخفهم وطأة المستشرق الانجليزى **نيكلسون** صاحب كتاب تاريخ الادب العربى المشهور ، وصاحب الابحاث الضافية عن التصوف الاسلامى ورجاله .

وقد عن لى أخيرا أن أراجع بعض ما كتبه عن الشعر الجاهلى فوجدت فى الفصل الذى عقده للرواية والرواة وما أدخلوه على الشعر الجاهلى من زيف ـ عبارة استوقفت نظرى وهى قوله : « وقد حدث كثير من التغيير (فى الشعر الجاهلى) بسبب الاسلام ، خذ مثلا كلمة الله ، فانها حلت فى كثير من الاحيان بدل كلمة اللات المعبود الوثنى » ـ ص ١٣٤ ط ١٩٥٦ .

ومعنى ذلك فى رأيه أن عرب الجاهلية لم يعرفوا كلمة الله ، وأنها دخلت الشعر الجاهلى بتأثير الاسلام ، وهذا لعمرى من المزالق الخطيرة التى وقع فيها نيكلسون ، ولقد رد على نفسه بعد أسطر قليلة حيث قال : « ولم يكن للدين سوى أثر ضئيل فى حياة عرب الجاهلية ، ولا ينتظر أن نجد له أثرا كبيرا فى الشعر الجاهلى ، لقد كانوا يعتقدون اعتقادا غامضا فى اله عظيم هو الله ، وببناته الثلاث : اللات ومناة والعزى ، التى ساد تقديسها كل الجزيرة العربية ، والتى كانت شفاعتها مقبولة لدى الله » .

فهو يقر أن عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بوجود الله ، وأن هذه الاصنام تشفع لهم عنده على حد قوله تعالى : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ، وعلى حد قوله تعالى : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، ومثل هذه الآيات الكريمة قد نزلت على النبى عليه السلام ، وسمعها عرب الجاهلية ، وهى تحكى عن واقع معتقداتهم ، ولو كانت تحكى خطأ لردوه .

أو لم يعرف نيكلسون أن والد النبى عليه السلام كان اسمه عبد الله ، وأن كثيرا من عرب الجاهلية تسموا بهذا الاسم ، وأن من أيمانهم المشهورة باسمك اللهم ؟! ، وأن هناك من كان يسمى عبد اللات فلا يخلط بعبد الله .

وكيف يفسر قول زهير بن أبى سلمى :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

وقول النابغة الذبيانى :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

وقول الأعشى فى معلقته :

واسأل قشيرا وعبد الله كلهم
واسأل ربيعة عنا كيف نفتعل

وقول عبيد بن الأبرص :

من يسأل الناس يحرموه
وسائل الله لا يخيب

وقول النابغة الذبيانى فى اعتذاره للنعمان :

أبى الله الا عدله ووفاءه
فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

أكان المراد بكلمة الله فى كل تلك النصوص كلمة اللات ثم غيرت فى الاسلام ؟ وهل اذا سألوا الناس

حرموهم واذا سألوا اللات لا يخيبون ؟ وهي أصنام لا تضر ولا تنفع . وهل للات عدل ووفاء ؟ ، وهل تعلم اللات ما أخفاه الناس في جوانحهم كما جاء في قول زهير ؟. اللهم انه التعصب أو الجهل . ثم لماذا اللات دون أختيها ؟ لقد كان العرب يجهلون كلمة (الرحمن) : « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » ، ومن ثم استفسروا عنها . أما كلمة الله فكانت ولا ريب معروفة لديهم كما أقر هو بذلك .

ومن المزالق التي وقع فيها نيكلسون كذلك ما ورد في آخر ص ١٤٨ حيث يقول : « ومن المؤكد أنه قد شارك قومه قبل الرسالة عبادة الاصنام ، وقد اعترف هو بذلك (ووجدك ضالا فهدى) ، أما متى وكيف ارتد عن عبادة الأوثان ؟ فسؤال لا تمكن الاجابة عليه ، ولكن من الطبيعي الظن أن أهم نتيجة - تلك التي أولاها كتاب السيرة عنايتهم - قد سبقتها فترة طويلة من القلق وعدم النضج » ، وهو يشير بذلك الى فترة التحنث بغار حراء .

وقد أتى له هذا الزعم وهومشاركة الرسول عليه السلام قومه في عبادة الاصنام من عدم فهمه لكلمة (ضال) في الآية الكريمة ، وهي هنا بمعنى عدم الاهتداء الى الحقيقة ، فقد كره منذ حداثته عليه السلام عبادة الاوثان ، وكان بالجزيرة العربية يهود ونصارى، وكانت هناك فكرة غائمة عن دين ابراهيم، ولم يرض عن دين اليهود ولا دين النصارى ، ولم يعرف تفاصيل دين ابراهيم ، وان عرف أنه يدعو الى عبادة اله واحد وأخذ يخلو الى نفسه في غار حراء أمدا غير قليل ، يتعبد على دين ابراهيم ، ويتفكر في ملكوت السماوات والارض، وينأى بنفسه عما انغمس فيه قومه من ملذات وعبادة فاسدة ، حتى من الله عليه بالرسالة وهذا هو معنى الهداية، أي هداه الله الى الدين الحق الذي يصلح لزمانه وللاجيال من بعده الى يوم القيامة ، وأنه رسول هذا الدين وخاتم الأنبياء ، لأن العقل البشري صار في قدرته أن يتقبل هذا الدين الجديد ، ولأن اليهودية والنصرانية قد شابهما الشيء الكثير من المفاسد والآراء البعيدة عن كنه الدين ، ولأن دين ابراهيم بطقوسه وعبادته لم يعد يفي بحاجة البشرية .

فضال هنا بمعنى تائه متحير لا يدري على وجه اليقين الطريق المستقيم الذي يجب أن يسلكه من بين هذه الطرق المختلفة الى أن هداه الله اليه وأراه وجه اليقين أبلج ناصعا ، وبعثه رسول البشرية عامة .

أما أنه عبد الأوثان في صغره ، فقد تضافرت الروايات على أنه لم يسجد لصنم قط منذ حداثته، ولم يقل بذلك حتى أشد أعدائه ضراوة ولددا من كفار قريش ، ولقد جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: « لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى اكرمني الله برسالته ، قلت ليلة لغلام كان يرعى معي : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك ، حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف لعرس بعضهم، فجلست لذلك ، فضرب الله على أذني فنمت ، فما ايقظني الا مس الشمس ، ولم أقض شيئا، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك » ، وحديث النبي عليه السلام أصدق من فهم نيكلسون ، وقد قاله لقوم كانوا خصومه بالأمس ، ونشأ بين ظهرانيهم ، وعرفوا عنه كل صغيرة وكبيرة من حياته . واذا كان نيكلسون يتساءل : متى وكيف ارتد محمد عن عبادة الأوثان؟، ويرى هذا سؤالا لا يمكن الاجابة عليه ، فانا نسأله بدورنا : متى وكيف عبد محمد عليه السلام الأوثان؟ وهو سؤال نجيب عليه بأن ذلك لم يحدث قط .

ويذكر نيكلسون بعد هذا أن جماعة من المفكرين الدينيين قد ظهروا قبل محمد ، وسموا بالحنفاء ، منهم ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل وكلاهما من قريش، وأنهما واثنان آخران قد كرهوا عبادة الاوثان وتركوا مكة بحثا عن حقيقة دين ابراهيم، وفي الوقت الذي اعتنق فيه ورقة النصرانية ظل زيد بعيدا عن النصرانية واليهودية على السواء عابدا اله ابراهيم »، ثم يتكلم عن أمية بن أبي الصلت الثقفي . ثم يقول :

« ولا شك أن محمدا قد وقع تحت تأثير هؤلاء ، وكانوا معاصرين له ، وأنهم هم الذين أثاروه أول الأمر ، وتقول الروايات انه كان مرتبطا بورقة ابن نوفل خاصة ، اذ كان ابن عم زوجته خديجة ، وهو الذي بشره بأنه نبي هذه الأمة حين نزل عليه الوحي ، في حين أن محمدا كان لا يزال في شك من أمره » ص ١٥٠ .

وهذا لعمري من الخلط الذى كثيرا ما يقع فيه المستشرقون بدافع من التعصب الديني ، فنيكلسون يقول: ان ورقة قد اعتنق النصرانية ، ولو كان محمد متأثرا به لاعتنق مثله النصرانية ، ولو كان يريد التأثير عليه وهدايته الى الدين الذى ارتضاه لنفسه مابشره بأنه نبىهذه الامة. وبين الاسلام والنصرانية خلاف جوهرى فى العقيدة ، فالاسلام يدعو الى التوحيد والايمان بالله واحد ، فى حين أن النصرانية تؤمن بالتثليث . وقد وضح هذا الفرق فى موقف النبى عليه السلام مع نصارى نجران حين وفدوا عليه ، وكانوا ستين راكبا معهم بسط فيها تماثيل ومسوح ، جاءوا بها للنبى عليه السلام ، فلم يقبل البسط لما فيها من تماثيل ، وقبل المسوح ، ولما جاء وقت صلاتهم صلوا بالمسجد مستقبلين بيت المقدس، ولما أتموا صلاتهم دعاهم للاسلام ، فأبوا ، وقالوا : كنا مسلمين قبلكم ، فقال عليه السلام : يمنعكم من الاسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم ان لله ولدا ، قالوا : فمن مثل عيسى خلق من غير أب ؟ ، فنزل قوله تعالى : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ودعاهم عليه السلام للابتهال فأبوا ، ورضوا بدفع الجزية فقبلها منهم .

ويثير نيكلسون الشكوك حول امية النبى وعدم معرفته القراءة والكتابة ص ١٥١ ، فيعلق على كيفية نزول الوحى لأول مرة وقول جبريل للنبى عليه السلام : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، ويكرر عليه قوله : اقرأ ثلاث مرات ، والنبى يرد : ما أقرأ أى أننى لست ممن يعرف القراءة، فيقول نيكلسون ان رواية ابن هشام أن النبى قال فى ثالث مرة : ماذا اقرأ ؟ ومعناها أى شىء أقرأ ؟ ، فكأنه يعرف القراءة ، ولم يذكر بقية رواية ابن هشام عن النبى عليه السلام حيث قال: « قال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك الا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى » يشير الى أنه غته أى ضمه اليه بشدة حتى ظن الموت. فالنبى عليه السلام ينفى نفيا باتا فى هذا الموقف أنه يعرف القراءة ولم يقل ذلك الا تخلصا . ثم يناقش نيكلسون امية النبى ، ويفسر كلمة أمى - متبعا فى ذلك رأى المستشرق « نولدكه » - بأن كلمة أمى لا تعنى الجهل بالقراءة والكتابة ، وانما تعنى عدم المعرفة بالكتب المقدسة السابقة متخذا من قوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون » دليلا على رأيه، مع أن الآية الكريمة تنفى عدم قراءته عليه السلام لأى كتاب قبل القرآن مقدسا أو غير مقدس ويستفاد ذلك من تنكير كلمة « كتاب » الذى يفيد العموم ، وأكد القرآن الكريم عدم معرفته الكتابة بقوله : « ولا تخطه بيمينك »، ولو كان عليه السلام يعرف القراءة والكتابة لظن به قومه الظنون وشكوا فى أنه نقله من كتاب آخر « اذا لارتاب المبطلون » ، وحياة النبى عليه السلام كانت معروفة لقريش وهم الد خصومه ، نشأ بينهم وترعرع حتى أرسل ، ولم يقل احد منهم انه كان يعرف القراءة والكتابة . وقد أورد القرآن هذه الحجة وهى أن النبى عليه السلام عاش بين ظهرانيهم وكانت حياته معروفة لديهم فى قوله تعالى : « واذا تتلى عليه آياتنا بينات، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » .

وان بلغ اللجاج بالكفار أن زعموا أن القرآن ليس الا « أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ، فاكتتبها تفيد أنها كتبت له ، واستكتبها سواه ، ولم يكتبها هو ، ولو كانوا يعلمون أنه يكتب لقالوا كتبها ، وهذه الأساطير التى كتبت له لم يقرأها بنفسه لأنه غير قارىء وانما تملى عليه ، أى تتلى عليه وتقرأ عليه حتى يحفظها ، ولو كان قارئا لقالوا يتلوها أو يقرؤها .

وهذه الآيات كلها نزلت على النبى وسمعها الكفار، ولو كان فيها أدنى لبس أو ريب لجابهوه بغير هذا ، ثم ان المعاجم العربية كلها قد فسرت كلمة (أمى) بأنه الذى لايقرأ ولا يكتب، ولست أدرى من أين أتوا بهذا التفسير الا اذا كان من وحى تعصبهم . وذلك ديدنهم حين يتعرضون لمسائل الدين أن يثيروا الشكوك ويكثروا الغمز واللمز حتى يرتاب المسلمون فى دينهم ، وهذا بعض ما يقصدونه باستشراقهم .

وردت هذه المزالق فى بضع صفحات متتالية من كتاب نيكلسون «تاريخ الادب العربى» وهناك غيرها كثير يجب التنبيه اليه ، واظهار كلمة الحق فيه ، حتى لا ينزلق معه بعض من يقرؤه من غير تدبر وبصيرة ، ولنا اليه عودة ان شاء الله .

« بنغازى - عمر الدسوقى »

دراسة وجودية في ٤ مقالات :

فلوبير .. مثلا !

بقلم : انيس منصور

(٢) القصة

والقصة المقصودة هنا ــ كما أشرت من قبل ــ هى قصة مدام بوفارى ، أروع ما كتب الأديب فلوبير باعترافه هو ، وباعتراف النقاد .. فهى ليست قصة فقط ، ولا عملا أدبيا رائعا ، ولكنه قواعد مذهب وفلسفة فكر ..

لقد جعل النقاد من مدام بوفارى اسما لمذهب فى الواقعية هو « **البوفارية** » ..

وهناك عدة تعريفات لهذه الكلمة من بينها : انه الاتجاه الادبى الذى يهدف الى الوصول الى المنبع باسرع عبارة وأبسط لفظ وأوضح معنى ..

وهذا التعريف ليس دقيقا لقصة مدام بوفارى بالذات . ولكنه من الممكن أن ينطبق على أعمال أدبية أخرى كثيرة قبل وبعد فلوبير . وهذا التعريف هو أمل كل الأدباء وكل الفنانين . وقد استطاع علماء الرياضيات أن يحققوا هذا الأمل وذلك باستخدام المعادلات الرياضية التى هى أوضح وأبسط أسلوب للتعبير عن الحقيقة . ولا يزال الأسلوب العلمى مثلا أعلى لكل أساليب الكتابة فى الوضوح والبساطة ..

وبعض النقاد يرى أن البوفارية هى الواقعية فى أعلى صورها . وأن استخدام كلمة التعبير «البسيط» الغرض منها هو أن نميز بين الواقعية وبين المذاهب أو الاتجاهات الأدبية الأخرى مثل الرومانسية والرمزية والعبثية . فالبساطة هى وحدها المقياس أو هى الخط الفاصل بين المذاهب بعضها وبعض ومن الممكن أن نختار عبارتين للدلالة على ذلك . فاذا قلت مثلا : كانت الشمس « الدامية » تدفن نفسها فى أفق من الحرير الأزرق « الحزين » ، وكانت رءوس الشجر الخضراء « القاتمة » أصابع تشير فى أسى ، الى نهاية يوم « ثقيل » ..

ان هذه العبارة ــ مثلا ــ من الممكن أن تدخل ضمن اطار المدرسة الرومانسية لكثرة هذه الصفات « الانسانية » لهذه الأشياء المادية .. أو لكثرة هذه الصفات التى لا ضرورة لها ..

واذا نحن استبعدنا هذه الصفات ، يمكن أن يقال ان هذه العبارة ــ مثلا ــ واقعية ، لأنها لاتتضمن الكثير من الصفات التى لا مبرر لها ..

هذا رأى أيضا ..

وهذا هو المبرر فى استخدام وتكرار كلمة البسيط والبساطة عند الحديث عن قصة مدام بوفارى والمذهب البوفارى فى القصة وفى الأدب عموما » .

وبعض النقاد يطلق كلمة « البوفارية » اسما على كل شخصية مماثلة لمدام بوفارى ، فكان البوفارية نوع من السلوك أو نموذج من الناس ، أو هى سلوك وهدف .. أو أسلوب حياة ..

ومدام بوفارى هذه هي بطلة قصة «مدام بوفارى» لجوستاف فلوبير ٠٠ والقصة بايجاز تروى مأساة – آسف لاستخدام هذه الكلمة ، فقد حرص المؤلف على أن يسمى هذه القصة اسما آخر هو « أخلاق اهل الريف » ولم يشأ ان يسميها مأساة أو دراما الى آخر هذه التسميات التى نسرف فى استخدامها، ونبالغ فى دلالتها • طبيب اسمه شارل بوفارى • هذا الرجل قد تزوج سيدة من قبل • وظن أنها غنية • واكتشف انها خدعته فطلقها • وساقته الصدفة وحدها الى علاج رجل عجوز • وفى بيت هذا العجوز وجد زوجته المقبلة ٠٠ انها « ايما » ٠٠ التى ستصبح بعد ذلك زوجته • فى الوقت الذى قابل فيه ايما ٠٠ كان هو طبيبا معروفا فى المدينة الصغيرة • وهو فى نفس الوقت شاب طبيب ذكى ، وكانت هذه الفتاة تعيش فى دنيا أخرى ٠٠ عالم من صنعها ٠٠٠ أو عالم صنعه لها شعراء وأدباء الرومانسية ٠٠ عالم كله كتب ٠٠ كله خيال ٠٠٠ كله أحلام ٠٠ لمس وهمس وورد وقمر وسحاب ٠٠ وكله آهات واثارة عنيفة ٠٠ لقد كانت « ايما » تحلم بأن تحب، وأن تتزوج الرجل الذى تحبه، وتزوجت « ايما » هذا الطبيب شارل بوفارى ٠٠ وأصبحت مدام بوفارى ٠٠

ولكن الزواج جاء صدمة لها ، فلا ورد ولا عطر ولا همس ولا لمس ولا سحاب رقيق ، ولا قمر خائف ٠٠ وانما كل يوم تجد نفسها الى جوار رجل مرهق ٠٠ مهدود مكدود ٠٠ كل يوم يجدها الى جوار النافذة تنتظره ٠٠ لقد نامت واستراحت وتعطرت وتمشطت وكل شىء منها منتبه ٠٠ ولا تكاد ترى الطبيب حتى ترمى نفسها عليه ٠٠ أما هو فلا يكاد يرى السرير حتى يرمى نفسه عليه ٠٠ ويضع عطرها فى عقاقيره وتقوم هى بدور النجوم التى تلمع ، ويقوم هو بدور السحب الكثيفة ٠٠ وتتالق النجوم بالقرب من نافذة الغرفة ، أما السحب فتتراكم على السرير ويرافق هذه السحب نوع من الرعد على شكل شخير متواصل ٠٠

وكان عفريتا صحا فى حياة مدام بوفارى ٠٠

كان جسمها الضئيل « قمقم » زجاجى ، وجاءت هذه الصدمات المتوالية ، فحطمت الزجاجة ليخرج منها عفريت مدام بوفارى ٠٠

وفى احدى الحفلات عرفت شابا٠٠وشابا وعشرة شبان ورقصت معهم • واقتربت منهم • ولمست اماكن حساسة من نفوسهم ٠٠ وأخذت تنزع القناع الذى فرضه عليها الزواج ، وبدأت تظهر على حقيقتها – أقصد على غريزتها –

وقد أدركت فى هذه الحفلة شيئا واضحا : هو أن زوجها مختلف عن الناس ، أو على الأصح اقل من الناس • وهذا رأى كل زوجة عادة • فالرجل الذى تعتاد عليه وتراه فى الصباح وفى المساء ، لا يمكن ان يبهرها ولا أن يثيرها ، ولا أن يكون شيئا • وهى معذورة فى ذلك ، وأدركت أيضا أن كل رجل أرق والطف واجمل وأكثر احساسا بالجمال من زوجها ٠٠

باختصار : لقد سقط زوجها فى أول حفلة ٠٠

وعرفت السخط • وانتقلت من السخط الى القرف • ودفعها القرف الى الثورة على زوجها •

وفى هذا الوقت حملت راغبة طفلة وانشغلت بالطفلة بعض الوقت • وعاد لها فراغها • وعادت لها أحلامها العنيفة • وحرصها على أن يتكرر اللمس والهمس ٠٠ ويتكرر الناس الذين هم أكثر انسانية من زوجها • انها الآن أصبحت تفتقد الانسان • كانت تبحث عن الحب • قد وجدت الزوج ٠٠ وعندما وجدت الزوج راحت تفتقد الانسان ٠٠ وعندما وجدت الانسان فقدت الزوج نهائيا •

وقابلت أحد المحامين الشبان ٠٠ وتعلقت به وأحبها • أو هكذا قال لها ٠٠ وعرف الناس قصة فضيحة مدام بوفارى • أما الزوج فلم يعرف شيئا ٠٠ فهو آخر من يعرف •

ولكن هذا المحامى الشاب ذهب الى باريس ليكمل دراسته • وتركها • وبدأت تتظاهر مدام بوفارى بالمرض • وكان المرض هو ستارها الوحيد لكى تبعد عن الزوج • أو كان المرض التعبير الجسمى عن قرف نفسى ٠٠ وسواء أكانت تتظاهر بالمرض فى ذلك الوقت ، أم كانت مريضة بالفعل • فالذى يهمنا هو أن زوجها لم يعد له وجود حقيقى فى حياتها •

وجاء شاب آخر الى المدينة ٠٠

وتعلقت به . وقررت أن تكون له . قررت بكل حواسها .. لقد وجدت المبرر الحقيقي لأن تكون لرجل آخر . فهو شاب لطيف وجميل ومثير وهي في غاية العطش . وأثار هذا الشاب كل خيالها وحرك أبطال قصصها . وراحت تحلم بأنها بطلة قصة كذا وبطلة مسرحية كذا .. لقد اشتدت إليها الأحلام . وضاقت بها الحياة في نفس الوقت .

وخدعها هذا الشاب وصدمها .

وقابلت المحامي مرة أخرى وندمت على الأيام التي أضاعتها معه .. ندمت على الأيام التي تستسلم فيها له . واستسلمت له . وكانت عشيقته .

وبدأت كوارث الزوج نفسه ــ أبوه مات . وامه لا تعرف كيف تعيش . وتطوعت مدام بوفاري لانقاذ حماتها .. وقابلت المحامي الشاب من جديد .

واضطربت الأحوال المالية لمدام بوفاري أيضا وانحطت وعبطت . وعرف الدائنون بيتها . وتزاحموا . وذهبت مدام بوفاري الى عشيقها الثاني لينقذها ولكنه اعتذر .

وكان زوجها قد أصيب بكارثة طبية ، فقد فشلت احدى العمليات الجراحية التي كان يقوم بها وساءت سمعته طبيا .. ومثل ذلك ساءت سمعته كزوج مغفل .

وذهبت مدام بوفاري الى الاجزاخانة وابتلعت كمية من السموم وعادت الى البيت . وحاول زوجها أن ينقذها من نهايتها . ولكنه لم يفلح . وماتت .

وحزن عليها حزنا شديدا ، ولم تقو أذناه على سماع صوت آخر مسمار يدخل في نعشها ..

وبعد فترة من الوقت راح يقلب في أوراقها ، فوجد رسائل عشاقها جميعا .. كانت صدمة . أودت بحياته هو أيضا تاركا لابنته ملاليم لتعيش منها ..

والصفحة الأخيرة من قصة مدام بوفاري تصور كيف كانت حالة دكتور بوفاري عندما قال آخر عشاق زوجته واسمه رودلف :

« في أحد الأيام عندما ذهب شارل الى السوق لبيع حصانه ــ آخر ما تبقى له ــ قابل رودلف هناك .

« .. ولم تكد تلتقي عيونهما حتى اصفر وجه الاثنين . وتلعثم رودلف ببعض الاعتذارات ، ثم تشجع بعد ذلك ، وذهبت به الشجاعة الى دعوة شارل الى أن يشاركه في زجاجة بيرة .. وجلس في مواجهة شارل يمضغ التبغ ، وهو يتحدث اليه ، بينما ظل شارل غارقا في النظر الى هذا الوجه الذي أحبته زوجته . ويبدو أنه كان يراها فيه . وتمنى لو كان هذا الرجل .. ومضى رودلف يتحدث عن الزراعة ، وعن الماشية وعن المراعي ، ويردد عبارات أخرى تافهة .. ولم يكن شارل ينصت اليه . وقد لاحظ رودلف ذلك ، ومضى هو الآخر يتابع صور الذكريات المتتابعة على وجهه الذي أخذ يتدرج في الاحمرار . وأخذت أنفاسه تتلاحق وشفتاه ترتجفان . وفي لحظة غضب صامت ، تجمدت عينا شارل على وجه رودلف ، الذي هو في شيء من الخوف ، توقف عن الاستمرار في الكلام . ولكن سرعان ماعادت ملامح الارهاق والتعب الى وجهه .

« وقال له شارل : انني لا ألومك .

« ولم ينطق رودلف بكلمة .

« ولكن شارل وضع رأسه بين يديه ، وقال في صوت متكسر منهار ، ولهجة مستسلمة ذليلة وفي أسى لا حد له : لا .. انني لا ألومك الآن .

« بل انه أضاف أخرى ، وهي العبارة الوحيدة التي نطق بها : انها غلطة القدر .

« واندهش رودلف لهذه العبارة ورأى انها لاتليق برجل مثل شارل ، وفي هذا الموقف . بل انه أحس انها تبعث على الضحك ....

« وفي الساعة السابعة جاءت ابنته « برتا » التي لم تكن قد رأته طول النهار ، تبحث عنه لتتناول

معه طعام العشاء . ووجدت رأسه مسندا الى الحائط، وعينيه مطبقتين ، وفمه فاغرا ، وفي يده خصلة شعر سوداء طويلة .

« وقالت : تعال يا بابا ..

« وقد ظنت أنه يريد أن يداعبها ، وهزته بلطف. فسقط على الأرض . لقد مات ....»

وفى هذه القصة يصف فلوبير مدام بوفارى بقوله : « كان جمالها الحقيقى فى عينيها . وعلى الرغم من أن لونهما بنى الا أن رموش عينيها تمثل اللون الاسود . ونظرتها تتجه اليك فى صراحة وجراة ..»

ويقول عنها أيضا : « قبل الزواج كانت تفكر فى الحب . ولكن عندما لم تشعر بتلك السعادة التى تجيء بعد الزواج ، احست بأنها قد اخطات فى تقديرها . وأخذت تتخيل معانى مثل هذه الكلمات السعادة واللذة والنشوة ، تلك الكلمات التى قرأتها فى الكتب » .

ووصف خيالها وأحلامها وقراءاتها الكثيرة : لقد كان عالمها كله مملوءا بالمحبين والعشاق ، والنساء اللاتى يتساقطن من أجل الحب ، والضحايا والقتلى بسبب الحب ، والغابات المظلمة والسحاب الهاربة ، والقبلات والقلوب الجريحة والبكاء والدموع والآهات والقمر والبلابل والرجال المهذبون أصحاب الجوانتيات ، والرجال الذين لهم قوة الأسود ونعومة الحملان الوديعة ، والفضلاء الى غير نهاية ، وفى غاية الأناقة والذين يبكون كالنافورات » .

ووصف فلوبير زوجها بقوله : ولكن زوجها كلامه سخيف ومناقشاته تافهة.. ان أحاديثه تشبه أرصفة الشوارع التى يلقى عليها الناس كل فضلات حياتهم .. ثم انه لا يعرف السباحة ولا يعرف رياضة الشيش ولا يعرف الرماية .. والرجل فى رأيها هو القادر على أن يثير المرأة ويشعل طاقاتها الى غير حد .. ولكن زوجها ليس الا خيبة أمل بالنسبة لها . »

وعندما أحبت مدام بوفارى ذلك الشاب الذى قابله زوجها بعد انتحارها كانت تقول له : انني احبك ! انني أحبك بجنون لدرجة أنني لا استطيع أن أعيش من غيرك . هل ترى الى أى حد ؟ فى كثير من الأحيان أحن اليك لدرجة النزق والهوس واسأل نفسى : أين هو الآن ؟ لعله يتحدث الى امرأة اخرى .. انها تبتسم له ، انه يذهب اليها ..ولكننى لا أصدق أبدا انك تفعل شيئا من هذا . وربما كانت هناك فتيات أجمل . ولكن واحدة لا تستطيع أن تحبك أكثر ولا أروع منى.أنا خادمتك أنا عشيقتك! انت مولاى ! أنت الهى ! أنت طيب ! انت أنيق ! انت ذكى ! أنت قوى ! .. »

***

وانتهت قصة وحياة مدام بوفارى ، لا لأن المؤلف قرر أن يقضى عليها انتقاما لما فعلته فى زوجها وفى غيره من الناس .. ولكن كان لا بد أن تموت لأنها قررت شيئا عسيرا جدا هو أن تعيش أحلامها ..

***

فصدمها الواقع ، وكان لا بد أن يصدمها.ولذلك ماتت مدام بوفارى ، وبقيت البوفارى فى كل مكان فى العالم .. انها فلسفة المراهقين والحالمين والواهمين .. الذين عرفوا مدام بوفارى أو لم يعرفوها !

« أنيس منصور »

رأى فى القصة المعاصرة

للدكتور : أحمد كمال زكى

فى مقالتين متتابعتين نشرتهما الدكتورة « لطيفة الزيات » فى « الرسالة » حاولت أن تبين مقومات القصة القصيرة ، التى هى نمط فنى يخالف الرواية والرواية القصيرة والرواية التخييلية كما تخالف الاقصوصة والحكاية وما يجرى هذا المجرى الذى يبعدها عن الاشكال القصصية غير المحددة التى يعرفها الاقدمون .

ولقد لحظت أن الدكتورة الفاضلة فى دراستها التقويمية لجأت الى التاريخ من أجل أن تقرر عدة قواعد فى هذا الفن ، وانتهت فى ضوئها الى أن جوجول الروسى يرجع اليه الفضل فى تخليص موضوع القصة القصيرة من بقايا الرومانسية التى تعنى بالغريب والوعظ والصنعة اللغوية فاستبدل بها بساطة اللحظات العابرة من الحياة اليومية . واذا لم أكن متطفلا على بحث الدكتورة أضفت انها تشير بذلك الى ما كان يسود حكايات أريستديس الملطى وبوكاشيو - بعده بستة عشر قرنا - وحكايات العشق التى تعرف باسم Novlleas التى منها ما خلفه فرنسيسكو دى باربرينو (ت ١٣٤٨) .

وكذلك قررت الدكتورة لطيفة أن ادجار الن بو استطاع أن يخلق « الشكل » أو القالب الفنى أو البنيان الذى اقترب بدقته من دقة الرياضيات ، واعتمد على التركيز حول لحظة واحدة لها بداية ووسط ونهاية . ولعلى لا أخطىء اذا قلت انها ترى هذا فى ضوء مهمة القصة - اذ ذاك - وكانت كما لا يخفى عليها وسيلة لسرد حكاية للآخرين! أجل ، وفى سبيل هذا وضعت الاسس التى تعمل على «نقل» الحكاية كما يراها المؤلف فاشترطت - كمقومات رصدتها - وحدة التأثير الناجمة عن وحدة الجو .

والصورة بهذا التحديد تبدو كاملة للمتعجلين ، غير ان الواقع أن وراء خلق القصة القصيرة قوى يصعب اضافتها الى جوجول وحده ولا الى بو بجانبه ولا الى أناس بعينهم حتى وان كان موباسان وجوركى من بينهم . وتحديد مقوماتها على النحو الذى تراه الدكتورة لطيفة الزيات يخرجها عن دائرتها الحقيقية من ناحية ولا يغطى قصة اليوم التى تندرج تحت مايسمى باللاقصة أو القصة الضد من ناحية أخرى .

ونحن اذا أردنا أن نختصر التفصيلات دون اختصار للحقيقة وجب أن نجيب عن السؤال التالى: لماذا ظهرت القصة القصيرة أصلا ؟

والسؤال يعنى بطبيعة الحال بالقصة الفنية ، لا الحكايات الخرافية ولا النوفيلا ولا ديكاميرون بوكاشيو ، ولا طرائف المقامات ونحوها ، كما يثير فى الوقت نفسه قضية الدوافع التى من أجلها أصبح للقصة «شكل» منتظم أو صياغة لها تخطيطها الثابت .

والحقيقة أنه تمكن الاجابة عن السؤال بأكثر من اجابة الا أن المهم - فى نظرى - هو أن نقرر أن تضاؤل أثر الشعر القصصى والدراما نظرا لتضخم جمهور القراء بعد قلة طالما استمتعت بالسماع والرؤية كان يعمل على توجيه الاهتمام نحو القصص . ولما كانت الروايات الطويلة لا تتفق تماما وطبيعة

الحياة فى القرن التاسع عشر ـ لانهـا تحتاج الى وقت يفتقده العمال والأجراء وصغار الموظفين ـ فقد كان لابد ان يميـل المؤلفون الى اجتزاء التفصيلات حتى استطاعوا أخيرا أن يخرجوا بالاعمال التى تقرأ فى جلسة واحدة ، وكان الذين لا يزالـون يكتبون الرواية يجزئونها أحيـانا أجزاء تصدر تبـاعا على صفحات الجرائد اليومية .

وثمة راى آخر يمكن أن نضيفه ، وهو أن القصة القصيرة نشات بعـد ان دعمت الطبقة المتوسطة نفسها ، مع ملاحظة انهـا لم تكن تملك امكانيات الارستقراطية ولم تعش فى مثل ظروفها . وكانت ترى ان أنسب ما يناسبها هو هذه الاعمال المحدودة التى لاتربطها الا بلحظتها حتى وان كانت من النوع التخييلى او من النوع الذى برع فيه ادجار الن بو . وكان عنصر الرومانسية الذى طبع روايات النصف الثانى من القرن التاسع عشر بمـا درج عليه من تحليل للمشاعر الدقيقة قـد ترك آثاره فى القصة القصيرة حتى أصبح من السهل أن تقول : ان القصة القصيرة فى تلك الفترة المبـكرة راحت تؤكد أنهـا تحتاج الى ما تحتاج اليه القصيدة الشعرية ! وهذا معنى ما ذهبت اليه الدكتـورة لطيفة الزيات فى حديثها عن التوتر وما تحولت به القصة القصيرة الى « التعبير » عن النفس أكثر مما كانت وسيلة لسرد حكاية على الآخرين .

واذن فما قدمه كل من جوجول وبو لا يمكن أن يكون جامعا مانعا فى تقويم القصة ، ونحن اذا قبلناه لا نقبله الا كمرحلة عبرتها قصة اليوم بحيث ينهار كل ما كان لازما لبناء اى قصة قبل خمسينات هذا القرن .

أجل ، وقد اضـاف غير المتخصصين فى القصة القصيرة وأشهرهم جيمسجويس وبروست وفيرجينيا ولف وهنرى جيمس وفورستر اضافات قيمةنبهت على عجز « التكنيك » الذى قومت معالمه الدكتورة لطيفة الزيات ، وذلك كى تصبح القصـة القصيرة تصويرا لقطاع عرضى فى الحياة .

والقصة القصيرة بهذا التحديد موجودة اليـوم فعلا ، غير أن كثيرا من كتابها ـ حتى وان رفضوا أن تكون كقصيدة الشعر ـ يخرجون بها الى ما يخشى ان تعود به الى شكلها الاول الفضفاض، لا فى طريقة السرد تماما ولكن فى عدم التزامها موضوعا محددا.

ان الفكرة القصصية اليوم ـ منـذ مد الادباء الوجوديون سلطانهم الى تصميمها ـ بدأت تستحيل الى « أطر » فضفاضة يختلط فيها تصوير الظاهر تصويرا حرفيا باللاواقع مع طبعها كلها بطابع النفى أو الرفض .

فـ « السقطة » التى كتبها « كامى » شىء غريب عجيب ، لا هو يشبه أعمال تشيكوف وجوركى ولا هو فيه شىء من صنيع موباسان ، ويبعد كل البعد عن حرفية بو ، ويعتمد فيما يعتمد على مجـاهدات فرجينيا وولف وجيمس جويس . الوصف والحوار والمناجاة النفسية والتقرير، كلها متداخلة، ولابداية لها تقليدية ولا نهـاية ، وليس بين البداية والنهاية ذروة ، ثم عبثا نعثر على عقدة .

ومن ناحية الحجم ـ والنقاد التقليديون يهتمون جدا بتحديده على أساس عدد الكلمات ! ـ لا نجـد بصدده ما يدفع بنا الى تحديد معالم العمل من حيث هو قصة او قصة طويلة أو رواية قصيرة .

ولكننا اذا جاوزنا كامى ـ وقد أصـبح بدوره مرحلة ـ نجد كتاب اللاقصة الذين لايزالون مجهولين بيننا ، مع أنهم فى اوروبا وأمريكا يشغلون الرأى العام والنقاد جميعا ، ويثيرونهم ، ويهدمون القواعد التى عمـل أدباء القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين على ارسائها وتاكيدها .

هل قرئت أعمال مارجريت دورا هنا ؟

وماذا عن جرييه وبيتور ومن يقفو أثرهمـا من امثـال ناتالى ساروت التى تكتب الرواية والقصة القصيرة ؟

ان اتجاه هؤلاء ومن لف لفهم من أدباء العرب ـ ومنهـم دريس الشرايبى ومطيع وكنفـانى وعايدة مطرجى ونجيب محفوظ فى غير رواياته ـ يحطمون المنهج الكلاسيكى ويرفضون أن يجعـلوها مجرد وصف لأشخاص فاعلة وترتبط بزمن له اول ووسط ونهاية !

وبناء على هذا الغيث « الانواع » التقليدية التى قسمت اليها الاعمال القصصية • فلم يعد ثمة قصة سيكولوجية ولا قصة انفعالية ولا قصة يوطوبية ولا قصة اجتماعية ولا ما شئنا من غير ذلك مما يصعب استقصاؤه وحصره •

أصبحت القصة القصيرة هى كل تلك الانـــواع ممتزجة ، وأصبحت أيضا وثيقة احتجـــاج تستعين بشتى الاساليب على ابراز القضيـــة فى اطارها التعبيرى الذى يعرى انســـان العصر ويكشف عن أزمته ، وليس من المهم فى هذه الحـــالة أن تكون هناك حدود واضحة للحدث لان هذا الحدث غالــا ما يكون ثانويا •

ولأول مرة فى التاريخ تقوم القصة على غير سرد مطرد ، بل على غير سرد مطلقـــا ، وتكون فعـــلا بغير حاجة الى أن تنصب مسرحا لشخصية ما أو اكثر !

ان المجددين العرب لا يفعلون ذلك تماما ، ولكنهم يقتربون شيئا فشـــيئا من اغلب الذين يهزون صرح القصة فى أوروبا وأمريكا • ولقـــد انتهى هؤلاء الى أن « مقومات » اية قصة ينبغى أن تكون مستندة الى التعبيرية أولا ، بشرط أن يعتمد التعبير على الرؤية الظاهرة ويبعد عن التحليل النفسى • على أن هـــذا لا يعنى تماما انكار الخلجات الداخلية ، ولكنه يعنى الا يبذل المؤلف أى محاولة لتفسيرها وتعليلها •

بل يسرف البعض فيرفض أن يســـتخدم النعوت على أساس أن ازجاء أى نعت يوهم القـــارىء وهما يخرج به عن الفكرة كما ينبغى أن تكون • فالجو الذى يبدو باردا فى نظر المؤلف ـ وهو يعبر عن ذلك بقوله الجو البــــارد ـ قد لا يكون كذلك من وجهة نظر القارىء ، وكذلك الوردة الجميلة والغادة الحسناء والنهر الهادىء •

ان المطلوب هو رصد الظواهر فىعلاقاتها الظاهرة فقط ، وهـــذا وحده اذا كان دقيقـــا كفيل بتقديم الاحتجاج المنشود ، لا سيما أن القاصين يصـــدرون عن مضمون لا يربطهم بأى مذهب من المذاهب حتى وان كان المذهب للوجوديين مع انهم ينتمون أصلا اليه •

غير أن هذه المقـــومات ـ وقد توفرت فى أعمال روب جرييه ـ فتنت كتاب القصة القصيرة ، لعملوا على بلورتها بصورة تدعو الى الدهش • ولحظنا فى أعمالهم ـ فضلا عن حيادهم الكامل وصدقهم الذى يمنعهم من ان يكتبوا «فلان يعتقد» أو «فلان يظن» خشية الا يكون يعتقد او يظن ما يبسطه ـ عمقـــا وخصوبة على الرغم من أن العالم الذى نراه عندهم لا واقعى وغـــير ثابت وأشـــخاصه بله لا يملكون مصيرهم ويتحكم فيهم قدر رهيب •

نحن لا ندرى الى أى حد يمكن أن نقبل ذلك فى قصصنا القصير العربى ، فان مايصدر عنه المجددون حتى الآن لا يكاد يجاوز الصياغة الوجودية ـ مع مضامين بعضها وجودى أيضـــا ـ وهو يؤذن بأحد أمرين: اما برجعة الى الوراء قبل الوثوب الى «شكل» ثابت جديد ، واما بتدمير هذا الفن كله على أساس انه بلا قيمـــة كبيرة من حيث هو جنس من أجناس الادب • ولقد تنبأ بزواله فعلا جمـــاعة من الادباء منهم ـ على سبيل المثال ـ لويس ماكنيس ، ولو قد وضعنـــا فى اعتبـــارنا أنه كان ينظر الى القصة التقليدية وهو يدلى بنبوءته تلك لحق لنا أن نتساءل: تراه كان يدخل فى حسابه صنيع أصحاب اللاقصة هذه الايام ؟

غير اننا فى الحقيقة لسنا متشـــائمين ، فسوف تظل القصة وبجانبها الاعمـــال الروائية على اختلاف أنواعها • وكلها فى نظرى لا يمكن أن تموت الا اذا ماتت رغبة الانســـان فى أن يتعرف على جاره وعلى نفسه وصور حياته ، وسيظل مجتمعنا مشـــغولا بحركة القص مهما تختلف أســـاليبه • فما يقدمه محمود تيمور يجب أن يبقى ، وأمين يوسف غراب بتكنيكه المحكم ضرورة يحتاج اليها العصر ، وعبـــد الحليم عبد الله لون من الالوان التقليدية الخصبة •

والى جانب هؤلاء أصـــحاب هذه القصص التى تشجب الأساليب المتوارثة • وهى قد تبدو خطيرة مدمرة لا تقل خطورتها عن خطورة ما يفعله أصحاب الشعر المرسل ، الا أنها مرحلة من مراحل التطور•• مرحلة ذكية يشهد على جديتها امثال نجيب محفوظ وسهيل ادريس وغسان كنفانى ، وأكثر من كاتب يطلع علينا من المغرب العربى فى أفريقيا العظيمة •

« د • احمد كمال زكى »

أساليب كتابة الرحلات (*)

في القديم والحديث

بقلم: محمد عبد الغني حسن

- ١ -

ان من يتابع كتب الرحالة العرب في القديم والحديث يرى اختلافا واضحا بين كل رحالة وآخر، من حيث المنهج والاسلوب ، والاهتمام برؤية بعض المشاهد دون بعض ، والتصديق لكل ما يسمعه خلال الرحلة ، والاتصال بأهل البلد النازل فيهم ، ومحاولة الاطلاع على عاداتهم وتقاليدهم ، ودراسة نظم الحكم والادارة في البلد المنزوح اليه ، والموازنة بين ما تقع عليه عينه هنا وعينه هناك ، والاستعداد الفطري للمرح والروح الفكاهية وقبول النكتة والارتياح لها وأشاعتها، والولوع بالاحصاء والتعداد لكل ما يمكن عده ، سواء أكان بشرا ، أم حيوانا ، أم جملة من المصانع ، أم عددا من البواخر ، أم قدرا مستهلكا من الطعام والشراب، ككمية الارز المستهلك في بلد ، أو مقدار اللبن الذي يشرب يوميا في بلد آخر …

وهذه الوجوه من الخلاف بين أسلوب رحالة ورحالة ومشاهد رحلة ورحلة ، لا نجدها في الرحالين العرب وحدهم ، ولكننا نجدها في كتب الرحلات الأجنبية التي يتاح لنا الاطلاع عليها في لغاتها الاصلية ، أو مترجمة الى اللغة العربية . فلا شك أن طريقة « هـ.ف.مورتون » في كتابة الرحلات غير طريقة « جنتر » و « أندريه موروا » و « ويليام كوبيث » الرحالة الانجليزي الذي وصف الريف الانجليزي ، وصور الفلاح فيه تصويرا دقيقا فاتنا، حتى عد كتابه المعنون « أسفار ريفية » من أمتع كتب الرحلات التي تقرأ اليوم ولاتفقد متعتها وجدتها مع أنه يصور الريف الانجليزي في القرن الماضي .

ولكل رحالة طعم خاص ومذاق خاص في تدوين رحلته ، ومن هنا ترانا نؤثر رحالة على آخر ، أو نفضل رحالة في لون لا يدانيه فيه رحالة آخر . ونجد هذا الطعم والمذاق ظاهرا حين نتناول رحلة ابن جبير الاندلسي الى مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية في القرن السادس الهجري، ورحلة ابن بطوطة الى أكثر هذه البلاد في القرن الثامن الهجري .

فكل من الرجلين يهتم بالمساجد ، وبيوت الله ، ومشاهد أهل البيت والصحابة والعلماء الزهاد ، والمتصوفة. فنرى ابن جبير يهتم أول الامر في القاهرة بمشهد الحسين فيصور التابوت الفضي ، والقناديل الفضية ، وما حف بأعلاه من أمثال التفافيح ذهبا ، والاستار البديعة الصنعة ، وأنواع الرخام المجزع. ثم يصف بعد ذلك المسجد الاموي الكبير بدمشق ، والمسجد الحرام بمكة ، ومسجد النبي عليه السلام بالمدينة ، ويطوف في كل مسجد طوافا طويلا ، ويقف وقفات طويلة هنا وهناك ، فلا يفوته منبر ولا مئذنة ، ولاصحن جامع ، ولا أعمدة ، ولا أستار، ولا قناديل ، ولا صناديق مختمة بالصندل مصفحة بالذهب أو الفضة ، ولا أبواب ، ولا قباب …

ونرى الرحالة **ابن بطوطة** يصور المساجد في رحلته ويصفها وصف الخبير الدقيق ، فلا يفوته جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ولا المسجد الاقصى بالقدس الشريف ، ولا المسجد الحرام بمكة، ولا المسجد النبوي بالمدينة ، كما لا يفوته في القسطنطينية وصف الكنيسة العظمى : كنيسة أيا صوفيا التي كانت في عهد زيارته لها لم تنتقل بعد الى يد الاتراك العثمانيين في عهد محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية في القرن التاسع الهجري

اى بعد زيارة ابن بطوطة باكثر من قرن من الزمان.

وليس غريبا أن يصف لنا رحالة عالم مسلم كنيسة او بيتا من بيوت الله يعبد فيه . فاذا كان ابن بطوطة المسلم يصف لنا كنيسة أيا صوفيا فى القرن الرابع عشر الميلادى ، فان رحالة عربيا مسيحيا معاصرا - هو الاستاذ فتح الله الصقال - يصور لنا فى رحلة الى أوربا فى هذا القرن العشرين مسجد أيا صوفيا ، بل يصور لنا عشرين جامعا فى العاصمة التركية كانت فى الاصل كنائس ثم استحالت جوامع بعد أن فتح العثمانيون المدينة .

وتاتى مع زيارة المساجد والكنائس والبيع فى الرحلات العربية زيارة المشاهد والمزارات وقبور الاولياء الصالحين ، وممن أسرف فى هذا اسرافاكثيرا الرحالة ابن جبير ، فقد وصف الننا « قبة الوحى » و « دار الخيزران » ودار أبى بكر الصديق. ولا يقل ابن بطوطة عنه فى هذا الباب ان لم يزد عليه ، فقد وصف لنا مشهد الحسين عليه السلام، وتربة السيدة نفيسة ، وتربة الامام الشافعى بمصر ، وقبر رابعة البدوية - نسبة الى البادية - بالقدس ، وهى غير رابعة العدوية ، وموضع مهد المسيح عليه السلام ، والبنية التى يقال أنها كانت مصعدة الى السماء .

واذا كان بالرحالة ميل الى التصديق بالعجائب والكرامات فان ذلك ينعكس على أوصاف رحلته . وبطل هذا الميدان هو رحالتنا ابن بطوطة ، حتى لقد كان وصف الغرائب والعجائب التى لقيها موضعا للشك عند غير المصدقين ، مما أثار عليه خصومه المنافسين ، فاتهموه عند بعض السلاطين بالوضع ، وسفهوا رايه وكذبوه . ولكن المنصفين مالوا الى تصديق عجائب مشاهداته مادامت فى حيز المعقول، وما دام لم يقم على نفيها دليل من السماع أو الرؤية ...

وقد أكثر ابن بطوطة من ذكر الحكايات عقب كل جولة ، أو فى خلال السرد للرحلة ، ويشير الى ذلك بقوله : حكاية . ثم يستطرد الى ذكر الحكاية التى قد تطول أو تقصر تبعا لنوعها وطبيعتها ... وقد لا يكتفى بذكر «حكاية» وحدها بل يعرفها بالصفة ، فيقول : حكاية غريبة ، أو حكاية عجيبة .

والاستطراد فى كتابة الرحلات ظاهرة لا نجدها عند أكثر الرحالين ، ولكننا نجدها عند بعضهم ممن يولعون به . فابن بطوطة يستطرد بذكر الحكايات والغرائب والكرامات ، واحمد فارس الشدياق ، رحالتنا العربى المعاصر الذكى الخفيف الروح ، يستطرد كثيرا على عادته فى كل ما يكتبه ، فقد حكى مثلا أن المستشرق « الدكتور لى » تزوج واحدة من الفجر او النور (الجبسيات) فى بلاد الانجليز، وقد أحبها لسمرة بشرتها ، وأحبته هى لبياضه - على طريقة المخالفة ... ولكنه ، اى الشدياق - استطرد بعد هذا الى حديث طويل عن النور(الفجر) وشيخهم ورقصهم ، واحترافهم العرافة ومعرفة البخت ، وسرقتهم للدجاج والخيل ...

فاذا ما فرغ من تاريخ «الفجر» ووصف عاداتهم ، استطرد بعد ذلك الى حديث السواد والبياض فى الوان الناس ، وأتى بشعر طريف فى تفضيل السواد على البياض على سبيل « المغايرة » التى عرفها البديعيون ولجا اليها كثير من شعراء الصنعة ... كقول القائل :

يكون الخال فى وجه قبيح
فيكسوه المهابة والجمالا

فكيف يلام عاشقها على من
يراها كلها فى العين خالا

على أن الشدياق خرج من مشكلة البياض والسواد فى النساء بتحسين الملاحة فى كل لون ، على حد قول البهاء زهير :

اسمع مقالة صب   وكن بحقك عونى
ان المليح مليح   يحب فى كل لون..

ومن كتاب الرحلات الذين أولعوا بالاستطراد « **رفاعة رافع الطهطاوى** » ، صاحب كتاب (تخليص الابريز ، الى تلخيص باريز) ، فاذا وصف لنا - مثلا - أحد «التياترات» فى باريس فانه يستطرد الى وصف الهوى والليل ، (ولا يمدح الليل الا من ترقب فيه وصال محبوبه) ، ثم يصف لنا ليل امرىء القيس الطويل لأنه ليل عاشق منتظر (كثر

فيه حرقه ، وزاد أرقه، وطال سهاده ، وطار رقاده) .. ولقد كانت رحلة رفاعة الطهطاوى الى باريس فى عهد حكم محمد على ، على حين كانت رحلة فارس الشدياق بعد ذلك بعشرات من السنين .

ويختلف كتاب الرحلات من حيث اهتمامهم بالاحصاء والعد وذكر الارقام ، فهناك من لا يعير الارقام أى اهتمام ، وهناك من يغالى بها ، ويسرف فيها اسرافا كثيرا يصدع الراس ، ويزهق النفس.. وقد اعتمد **فارس الشدياق** على الارقام يكمل بها طرائف كتابه فى الرحلات أو كتابيه اللذين يسمى أحدهما : « الواسطة ، فى معرفة أحوال مالطة » ، والثانى « كشف المخبا ، عن فنون أوربا » ، وهما من مطبوعات « الجوائب » التى أنشأها ذلك الشيخ العبقرى فى عاصمة الخلافة الاسلامية ..

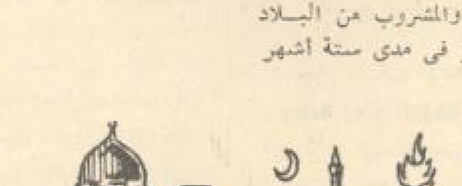
ومن احصاءات فارس الشدياق الطريفة فى رحلته لانجلترة وايرلندة ، انه ذكر نقلا عن احصاء نشرته صحيفة «التيمس» يومذاك أن جملة عدد القضاة ٤٩٩ قاضيا ، منهم أربعة وخمسون فى المحاكم العليا ، والباقى فى المحاكم الدنيا ، وأن عدد القسيسين المنتمين الى الكنيسة الاصلية ١٨٥٨٦ ، أما المنتمون الى بقية الكنائس المتفرعة فعددهم ٥٨٥٢١ قسيسا. وعدد الاطباء ١٨٧٢٨ ، ولا يدخل فى ذلك طلبة الطب الذين دخلوا فى سلك المتطببين . وعدد المهندسين ٣٠٠٩ مهندسين، وعدد المعلمين ١٠٦٣٤٤ منهم ٣٤٣٨٧ من الرجال و ٧١٩٦٦ من النساء . فاذا انتقل فارس الشدياق من المهن والحرف الى الارض والزراعة والرعى أورد فى رحلته طائفة من الاحصاءات الطريفة فى هذه الناحية ... فالانجليز ــ أو الانكليز بالكاف على طريقته وطريقة أهل الشام ــ يربون ثمانية ملايين من الماشية ، ويذبحون مليونين ... ومع خصب أرضهم وكثرة غلالهم فانهم يجلبون كثيرا من الماكول والمشروب من البلاد الاجنبية ، فقد جلبوا من البقر فى مدى ستة أشهر ١٢٢٣٨ راسا ، ومن الغنم ٢٩٢٦٨ ، ومن البيض قرابة ٥٧ مليون بيضة ...

ويظل الشدياق فى رحلته ينتقل بالقارىء العربى من احصاء الى احصاء ، ومن رقم الى رقم ولكنه فى خلال ذلك يسوق من النوادر والفكاهات والملاحظ الذكية ، والبديهة الحاضرة ما يخفف من ثقل الارقام وتتابع الاعداد .

ومن أولع بالاحصاء فى الرحلات من أهل زماننا هذا الاستاذ فتح الله الصقال مؤلف كتابى : « فى العالم الجديد » و « أوربا أمس واليوم » ، وهما من كتب الرحلات التى تعتز بها المكتبة العربية الحديثة. ويمتاز الاحصاء عند الصقال بروح خفيفة تشوق القارىء ولا تبهظه ولا تثقل عليه ، فمن احصاءاته الطريفة ما ذكره عن متاحف فينا ومحتوياتها ... ففى متحف السجاد (٩٠٠) قطعة من أثمن وأنفس ماصنعته يد الانسان، وفى متحف السمك (٧٢٠٠٠) شكل وجنس من الاسماك . وفى المكتبة الوطنية (١ر٢١٠ر٠٠٠) كتاب مطبوع و (٣٠ر٠٠٠) مخطوط . وفى المتحف الزراعى ١٢٧٥٠ مجلدا ، تضم بين طياتها مليونين وخمسمائة ألف نوع من أنواع النبات . ومن طرائف احصاءاته عن دور العجائز ما ذكره عن دار العجزة فى عاصمة البلجيك ... فهى تحتوى على ٥٣٠ سريرا ، وكل غرفة تستوعب ما بين عشرين الى ثلاثين سريرا ، ويقوم بخدمة العجزة مائة وخمسة وعشرون خادما وخادمة.

وهكذا تستحيل الارقام والاعداد والبيانات والاحصاءات فى كتب الرحلات الممتعة الى أشياء لطيفة خفيفة لا يضيق بها صدر القارىء ، ولاتزدحم على خاطره ولا أمام ناظريه ...

« محمد عبد الغنى حسن »



دعوة .. للانسان .. في كل مكان وزمان

بقلم: فتحي عثمان

نزل القرآن بلغة قريش في شبه جزيرة العرب ... لكنه نزل يخاطب «الانسان» مطلقا بغير تحديد: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق **الانسان** من علق» وهو يخاطب الانسان في كل زمان ومكان، ومن هنا كان لا يخاطب «الحس» بالخوارق التي يشهدها أفراد ويتناقلها جيل، وانما يخاطب (العقل) الانساني في كل البيئات والاجيال .. وهكذا كانت معجزة الاسلام (كتابا) و (بيانا)، وتذكرة لأولي الالباب!

وجاءت أولى آياته **دعوة للمعرفة الانسانية دون حدود**، لانها من عند الله الذي فوق كل الحدود.

«**اقرأ** وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم **الانسان** ما لم يعلم».

وتستهل فاتحة الكتاب وسائر سوره «بسم الله **الرحمن الرحيم**».. ورحمة الله – كما تحدث هو في كتابه – قد وسعت كل شيء.

وتفتتح الفاتحة بحمد الله «**رب العالمين**».

وشعائر الاسلام اعلان للوحدة الانسانية: فالأذان للصلاة دعوة عامة للفلاح لا تستعدي ولا تستثير، وفي الصلاة اجتماع للقلوب والتئام للصفوف: وفي الزكاة تلاحم وتكافل، وفي الحج تعارف والتقاء على مستوى عالمي. ثم تأتي شريعة الاسلام فتعلن المساواة الانسانية، لا تحابي ولا تتحامل «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» «ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم والوانكم».

وشريعة الاسلام تقيم ميزان العدل مع المخالفين في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم، ان الله يحب المقسطين. انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم».

ولقد اجتمع على هذه الدعوة الانسانية العالمية: بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، بجانب اساطين العرب من قريش وغير قريش. وشاء الله الا يلقى محمد القرشي من (قريش) غير العناد، والا يلقى محمد الناشيء في مكة من (مكة) الا التكذيب والعداء، وشاء الله ان ينصر محمد من (الاوس والخزرج)، وان يلقى الترحيب في (يثرب).

وهكذا كانت دعوة الاسلام دعوة انسانية عالمية.

● **تخاطب عقل الانسان في شتى البلدان والاجيال**

● **وتعلن المساواة الانسانية والوحدة العالمية نتيجة منطقية لاتجاهها الى مخاطبة «الانسان» و«عقل الانسان».**

«وما ارسلناك الا رحمة للعالمين».

ومن اجل ذلك ارسل رسول الاسلام رسله وكتبه الى من حوله من حكام الارض .. وبينما كان المسلمون يعانون من (قريش) في (مكة) العنت والايذاء، كان القرآن يبسط أمامهم الافق والامل ويفتح اعينهم على العالم الواسع الرحيب:

«غلبت الروم في ادنى الارض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الامر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم».

وقد جاءت شريعة الاسلام تعالج الجوانب الرئيسية في الحياة .. ولم تغفل **القانون الدولي** الذي هيأ الاسلام لنشاطه المجال الحيوي بفضل دعوته الانسانية العالمية «يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود» «واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم» «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» «وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق».

وشريعة الاسلام تستهدف اقامة العدالة الدولية كما تستهدف اقامة العدالة الاجتماعية والسياسية: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما، **فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل**، واقسطوا ان الله يحب المقسطين». على ان الاسلام اذا اضطر للحرب دفاعا عن حق فشريعته الانسانية لا تتبع مدبرا ولا تجهز على جريح، ولا ترفع سلاحا على غير محارب – كهل او صبي او راهب او امرأة. ودعوة الاسلام الانسانية العالمية تواصل مخاطبة العقل حتى في ميدان القتال «وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه». فاذا بدرت بادرة للرجوع عن

البغى وجب الرجوع الى الاصل وهو السلم « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

ولنستمع الى الدكتور حميد الله الحيدر ابادى يقول فى مدمة كتابه : « سيرة الدولة الاسلامية فى المجال الدولى » بالانجليزية :

« لم يكن هناك قانون دولى في اوروبا قبل عام ١٨٥٦ م ، ومن المسلم به ان ما كان هناك قبل ذلك هو مجرد قانون للامم المسيحية . ففى عام ١٨٥٦م حدث للمرة الاولى ان اعتبرت دولة غير مسيحية - هى تركيا - اهلا للانتفاع من القانون الاوروبى العام للأمم ، وكانت هذه هى البداية الحقيقية لتحويل القانون العام للامم المسيحية الى قانون دولى عام . ولا يعنى هذا ان القانون الدولى بمضمونه الحديث قد ولد في ذلك الزمان والمكان ، وانما تحقق وجوده من قبل فى بقعة أخرى : ان الاسلام قد اعترف لكل الدول - بصرف النظر عن الدين والجنس - بنفس الحقوق والالتزامات . فعلى خلاف اية امة فتية ، لم يعلن المسلمون قانونهم للامم من أجل تحديد سياسة الدولة الاسلامية وحدها ، ولا على اساس اسقاط الدول غير المسلمة من الاعتبار ، بل ان القانون الدولى ليدين كذلك للمسلمين العرب فى العصر الاموى باعتباره علما منفصلا «مستقلا» فهم قد فصلوا بينه وبين علم السياسة وبين القانون بمعناه العام ، وان كانوا لم يجردوه من أساسه الاخلاقى » .

ودعوة الاسلام تخاطب «الانسان» كما خلقه الله بدوافعه وعواطفه ، وميوله وانفعالاته .. انها لاتفترض أنه ملك معصوم أو شيطان رجيم .. استمع الى حديث رسول الاسلام .

«كل بنى آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون» .

« رفع عن أمتى : **الخطأ .. والنسيان .. وما استكرهوا عليه»** .

وتقرأ فى القرآن وصف «المتقين» الذين أعدت لهم جنات النعيم .

« والذين اذا **فعلوا فاحشة أوظلموا انفسهم ذكروا** الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون» .

كما تقرأ عن **«المؤمنين المجاهدين»** .

« اذ جاءوكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم» .

بل ان القرآن يقول عن **الرسل الأكرمين** :

« حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما انت نذير ، والله على كل شىء وكيل » .

« وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين» .

«وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا . وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها ، واذن لايلبثون خلافك الا قليلا ، سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا» .

وهكذا يتعانق فى حياة الانسان الضعف والقوة .

وحسب الفرد القوى أن تربو فترات قوته على فترات ضعفه .. وحسب المجتمع القوى أن يربو عدد الأقوياء فيه على عدد الضعفاء .

«ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها» .

وبهذه الدعوة الانسانية يقطع الاسلام الطريق على المتزمتين الجامدين ، الذين يتشهون تتبع العورات ، ويتلمظون لتلمس العيوب .

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة .. والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ..

لقد جاءت رسالة الاسلام الى الدنيا بمعنى عميق .

جاءت لتعلن عن طريق (عبادة الله) .. (كرامة الانسان) .

(الانسان) فى أية بقعة من العالم .

(الانسان) فى أى زمن من الوجود .

(الانسان) فى أية حال من الاحوال التى هى من طبيعة الانسان .

(ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

فتحي عثمان

بمناسبة توقيع اتفاقية التبادل الثقافي والعلمي
بين الهند والجمهورية العربية المتحدة

الطلبة الوافدون إلى الهند

ونظم المنح الدراسية فيها

بقلم: محيي الدين الألوائي

قام فى الاسبوع الماضى وزير التعليم فى الهند السيد محمد على شاجلا بزيارة للجمهورية العربية المتحدة بدعوة من السيد وزير البحث العلمى الدكتور رياض تركى ، وجرت محادثات بين الطرفين حول البرامج التنفيذية الخاصة بالاتفاقية الثقافية والعلمية بين البلدين ، وامكانيات توسيع نطاق تبادل العلماء والمدرسين والطلبة ، خصوصا اساتذة اللغة العربية للتدريس فى الهند .

وقد تم الاتفاق اخيرا على ان يجتمع المجلس العلمى العربى الهندى المشترك ،مرة كل عام لوضع برنامج للعمل والتعاون،على أن ينعقد مرة بالهند ومرة بالقاهرة ، وتقرر ان يذهب هذا العام ستون عالما من الجمهورية العربية المتحدة الى الهند ، بينما يصل ثلاثون عالما من الهند الى القاهرة ، وكذلك تهدف الاتفاقية الجديدة الى رفع عدد المنح الدراسية من الجانبين وكذلك عدد اساتذة اللغة العربية المبعوثين الى الهند .

ونعرض فيما يلى جولة سريعة حول نظم المنح الدراسية واقسامها ، والعلوم والفنون التى تختص بها الهند ، وكذلك التسهيلات التى تتخذها السلطات التعليمية فيها للطلاب الوافدين اليها من مختلف البلدان :

كانت الهند منذ عصور بالغة فى القدم محط العلماء والباحثين من شتى انحاء العالم ، واما الجامعات القديمة التى قامت فى مدن « نلندا » و « تكسيلا » و « كرام شالا » و « أودانتابور » فى عصور انبثاق فجر الحضارة الهندية ، بمثابة مراكز عالمية لدارسى الفلسفات والحكم ، وتدفق اليها العلماء والباحثون من كل فج عميق ، وصاروا همزة الوصل ونقطة الالتقاء بين الحضارات المختلفة القائمة فى تلك العصور ، ووضعوا كتبا قيمة ومذكرات تاريخية ، تلقى الأضواء على العلوم والفنون والحكم السائدة حينذاك فى شبه القارة الهندية والبلدان المجاورة ، ومن المؤسف حقا ، أن الوهن والجمود قد تسربا الى شرايين الروابط العلمية والثقافية بين الهند والعالم الخارجى بفعل السياسة الاستعمارية البغيضة ، التى كانت تستهدف دائما بث روح التفرقة بين الأمم الشرقية ، وقطع أواصر التآلف والتعاون بين هذه الأمم التى ترتبط بينها برباط الصلات التاريخية والثقافية ، بل الروحية أيضا .

وصار الشرق ــ بوجه عام ــ يتطلع الى الغرب ، لجامعاته ومعاهده لنيل الدرجات العلمية ، والشهادات العليا بعد أن كان الشرق مهد الحضارات والعلوم ، وكعبة العلماء والدارسين فى مشارق الأرض ومغاربها .

وعقب الحرب العالمية الثانية ، حصل تقارب بين



الدكتور احمد رياض تركى وزير البحث العلمى (ج.ع.م) والسيد عبد الكريم شاجلا وزير معارف الهند . يوقعان اتفاقية التبادل الثقافى والعلمى بين البلدين

الشعوب والأمم . وبدأت الدول تتعاون وتتعارف في شتى مرافق الحياة البشرية ، وادركت بنفسها مغبة حياة العزلة التى فرضتها عليها الدول الاستعمارية المغرضة ، استطاعت عدة دول أسيوية وافريقية أن تزيل عن كاهلها كابوس الاستعمار الغاشم ، وتشق طريقها الى التقدم والنمو فى مختلف الميادين ، ودب فيهما شعور المصالح العامة ، والأهداف المشتركة بين الشعوب المستقلة حديثا ، وفهمت جيدا ضرورة التقدم العلمى .

ومنذ ان نالت الهند استقلالها فى عام ١٩٤٧ عقدت عزمها على العمل لاستئناف الروابط العلمية والثقافية ، الى جانب الصلات السياسية والاقتصادية ، مع البلدان الشقيقة التى كانت تربطها بها علاقات ودية متينة منذ اقدم العصور ، فوضعت مشروع المنح الدراسية للطلبة الوافدين اليها لكى يتمكنوا من القيام بتلقى العلوم من مناهل الهند التاريخية ، ويستعيدوا الروابط المعنوية القديمة ، التى انفصمت أوصالها لأسباب لم تكن فى حسبانها ؛ وضاعفت الهند هذه المنح الدراسية لجاراتها من الدول الآسيوية والافريقية ، خصوصا المنح التى خصصت لمواصلة الدراسات فى العلوم والفنون التى لا تتوافر فى تلك البلدان وسائلها وتسهيلاتها ، واختارت الهند لنفسها برنامجا للتعاون الثقافى مستهدفة منه تحقيق الآمال والاهداف المشتركة .

ويبلغ عدد الطلبة الوافدين الذين يتلقون العلوم فى جامعات الهند ومعاهدها الآن اكثر من اربعة آلاف طالب ، ينتمون الى ثمانين دولة من البلدان المختلفة . ومنهم طلاب يدرسون على حساب منح دراسية من الحكومة الهندية ، ومنهم من يواصلون الدراسة على نفقاتهم الخاصة ، وتتولى وزارة المعارف ، ووزارة البحوث العلمية ، والشئون الثقافية مهمة الاشراف على مشروع المنح الدراسية ، بينما تشرف الاولى على الطلاب الوافدين الذين يختارون العلوم الانسانية ، والفنون العصرية ، والدراسات المهنية ، تشرف الثانية على الذين يختارون الهندسة والتكنولوجية . والفنون الجميلة والآداب الهندية المختلفة ،

وقد بدأت الهند برامج المنح الدراسية العامة فى عام ١٩٤٩ بسبعين منحة سنوية ، ارتفع معدلها فى عام ١٩٥٦ الى مائة وأربعين منحة ، لسبع وأربعين دولة آسيوية وافريقية لمواصلة الدراسة فى الهند بمختلف أنواع الدراسات . واستمر هذا الازدياد النسبى باطراد عاما بعد عام . واما المشروع الآخر للمنح الدراسية فهو مشروع التعاون الفنى التابع لمشروع « كولومبو » . وبمقتضى ذلك تمنح المنح او الزمالة الدراسية لابناء الدول الاعضاء فى مشروع « كولومبو » لكى يكملوا التدريب المهنى . وكان هدف هذا المشروع الذى هو موجه — أولا وقبل كل اعتبار — الى بلدان جنوب آسيا ، مواجهة مطالب الحكومات فى هذه البلدان من الخبراء والعلماء الاكفاء لتدريب مواطنيها طبقا لحاجتها وطلبها ، وقد نال فعلا حوالى ثلاثة آلاف شخص التدريب اللازم فى الهند ، وفقا لهذا المشروع ، وعادوا الى اوطانهم ليقوموا باداء واجباتهم نحو وطنهم وأمتهم .

وبموجب مشروع آخر لتبادل المنح تقدم الهند ثلاثين منحة دراسية للبلدان الأوروبية .. وتمنح هذه المنحه لمدة عامين ، ويستطيع الطالب ان يختار اى موضوع يعجبه ، ولكن يبدو من التجارب أن طلاب هذه البلدان يفضلون دراسة الثقافات الهندية والفنون الجميلة ، وشتى نواحى الاداب الهندية المعاصرة .

وان الاقبال الذى يلاقيه هذا المشروع من تلك البلدان يدل على تقديرها البالغ للدراسات الهندية المختلفة . ومن الدول التى تتلقى الزمالات الدراسية العليا من الهند : فرنسا وألمانيا الغربية .

واما مشروعات المنح الدراسية العامة التى ابتدأت فى عام ١٩٤٩ فيشمل سبعا وأربعين دولة آسيوية وافريقية ، مع اهتمام خاص للطلاب المنحدرين من اصل هندي . وفى مكنة الطلاب الذين يواصلون الدراسة فى الهند طبقا لهذه المنح ان يختاروا اى موضوع يريدونه . سواء فى المستوى الجامعى او غيره حسب ضرورة الدولة التى ينتمى اليها الطالب ، او حسب رغبته العلمية . لكى يمكنه التخصص فى هذا الموضوع للعمل فى وطنه بكفاءة وخبرة .

ويدرس الآن فى الهند اكثر من ستمائة طالب وفق هذه المنح الدراسية العامة وهم : من الجمهورية العربية المتحدة ، والعراق ، والأردن وسوريا ولبنان واليمن وبلاد الجنوب العربى ، والسودان ، وكينيا

واوغندا ، وزنجبار ، وتنجنيقا ، ونيجيريا ، وروديسيا ، ونياسالاند ، والملايو ، واندونيسيا ، ونيبار ، وبورما وسيلان ، والصين ، وفيجي ، وسيام ، وغيرها من جنوب شرق آسيا ٠

وهناك مشروع آخر للتبادل الثقافي بين الهند وبلدان منظمة « الكومنولث » وضع برنامجه منذ عام ١٩٥٩ باسم « مشروع كومنولث » ٠ مستهدفا جمع المصادر واكتشاف الوسائل الممكنة لنشر التسهيلات الدراسية لمواطني دول الكومنولث، فتقدم الهند خمسين منحة كل عام بموجب هذا المشروع حتى بلغ مجموع عدد الطلاب الوافدين من مختلف بلدان هذه المجموعة لمتابعة الدراسة في مختلف المواضيع ، أو لاعداد الرسائل للدكتوراه من جامعات الهند ، حوالى مائة طالب ، وفي مقدمة هذه البلدان ، كينيا ، واوغندا ، ونيجيريا ، وسيلان، والملايو ، وسنغافورة ، وغانا ، ونياسالاند ، وروديسيا .

ويتلقى الطالب الذى يحصل على المنحة الدراسية وفق مشروع التبادل الثقافي العام ، ثلثمائة روبية شهريا ، اذا كان الطالب يواصل دراسته بمقتضى الزمالة الدراسية ، يتلقى مبلغا أكثر من المنح العادية . مع انه يختلف حسب البرامج التعليمية التى اتفقت عليها البلدان المعنية ، كل طالب من الوافدين يحصل على علاوة الكتب بمعدل ثلثمائة روبية سنويا، الى جانب النفقات الطبية، ومصاريف العلاج ، مع تسهيلات الانضمام الى معسكرات الصيف ، التى تقام فى المدن الرئيسية ، والمناطق السياحية ، فى مختلف أنحاء الهند ٠

ويوجد فى كثير من جامعات الهند ومعاهدها التى فيها الطلاب الوافدون مستشارون أكفاء للاشراف على راحة هؤلاء الوافدين والعمل على حل مشاكلهم ومطالبهم بكل الوسائل الممكنة . ومن مهمة هؤلاء المستشارين أيضا أن يقدموا توصيات ومقترحات الى الجهات المختصة فى الجامعات والحكومة ، لكى تتخذ الخطوات اللازمة لتوفير الراحة والتسهيلات للطلبة فى دور تعليمهم ، أو مساكنهم او معسكراتهم ، ويقع الاختيار على هؤلاء المستشارين من بين الأساتذة الاخصائيين الذين يعرفون نفسيات الطلبة ووجهات نظرهم ، ومشاكلهم أثناء الدراسة ليكون الأمر أقرب الى التفهم ، والحل ، بطريقة ترضيهم ٠

أما الطلاب الوافدون الى الهند فلهم اتحاداتهم الخاصة فى الجامعات والمعاهد التى يواصلون فيها دراساتهم ، وفى مقدمتها : « اتحاد الطلبة الأجانب » فى نيودلهى ، ويضم هذا الاتحاد تحت لوائه معظم الطلبة القادمين من بلدان أفريقيا وآسيا ، وينظم حينا فآخر احتفالات ومهرجانات فى مناسبات الأعياد القومية والوطنية فى بلدانهم ، ويشارك معهم فى هذه الاحتفالات زملاؤهم من الطلاب الهنود ، حتى يسود فيها جو مليء بالصداقة المتبادلة والروح الاخوية السائدة بينهم ٠ وهذا يساعد أيضا على توطيد الحب الوطنى والشعور القومى فى أذهانهم ٠

وفى جامعة دلهى مدينة جامعية خاصة للطلاب الوافدين ، يشرف عليها مجلس الهند للروابط الثقافية فى دلهى ، هذا المجلس يتخذ ايضا التدابير اللازمة لاستقبال الطلاب الوافدين لدى وصولهم الى الهند ويقوم بمهمة ايصالهم الى الجامعات والمعاهد التى يلتحقون بها٠ وللمجلس مكاتب اقليمية لهذا الغرض فى المدن الرئيسية بالهند ، مثل كلكتا ومدراس وبومباى وغيرها ، وينظم فى كل مركز يوجد فيه عدد من الطلاب الوافدين حلقات دراسية فى الشئون الهندية ، والدراسات الشرقية ٠

وتحت اشراف المجلس تقام أيضا معسكرات خاصة أثناء العطلة الصيفية فى كشمير ، وغيرها من المناطق الساحرة بجمال الطبيعة ، ليكون الطالب الوافد على المام تام بطبيعة الهند وخصائصها ومناظرها الى جانب التزود بثقافتها وفلسفاتها ، وعلومها حتى يعود الطلاب الى أوطانهم مزودين بذخائر من المعلومات الجديدة ويزدادوا فهما وادراكا بالامم الاخرى ٠

وتعمل السلطات لتوفير الوسائل والتسهيلات الممكنة للتعايش مع المجتمع الجديد ، والانسجام مع البيئة التى يعيشون فيها ، مع الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، وتتاح للطلاب الوافدين أيضا الفرص السانحة أثناء اقامتهم فى الهند للاقتباس من بساطتها وتسامحها وفلسفتها وحكمها المشهورة ، لكى ينتفعوا بها فى مستقبل حياتهم ، وبناء وطنهم وأمتهم على أسس من الدراية والكفاءة ٠

« **محيى الدين الالوائى** »

الساعة الرابعة

للشاعرة : روحية القليني

اذا دقت الساعة الرابعة — اطير الى هاتفي مسرعه
ادير على لهفات الفؤاد — دوائر خمسا له طيعه
وحين يرد اقول بشوق — الى حكاياتك الممتعه
فيحكي حكاياته المشرقات — واصغي بقلبي كاني معه
واستاف عبر الاثير شذاه — بعطر جو المنى الرائعه
وعبر الاثير حديث رقيق — يهز المشاعر ما اروعه
واصمت والقلب ينبض وجدا — اطيل السكوت لكي اسمعه

***

اذا مر يوم بعمر هوانا — ولا نلتقي فيه عبر الاثير
اكاد اجن اضيق بيومي — ونومي من العين سهدا يطير
واسال كل الذين اراهم — كان الحبيب مضى من شهور
امر بحيكمو خبروني — وعطر جوكمو بالعبير؟
تعود سمعي على صوته — على نغمات الهوى والشعور
تعود قلبي على وده — ففيه حنان يذيب الصخور

***

فكيف اذا غاب عني اطيق — وكيف يقر فؤادي المشوق
سيمضي بعيدا بعيدا هناك — وابقى انا في لهيب الحريق
اعانق سهد الليالي واحكي — لسمع الوساد هواي العميق
اقول بكل صباح جديد — لعل رسالته في الطريق
فاني غرقى ببحر اشتياقي — وتلك الرسالة شط الغريق
سيمضي وابقى مع الذكريات — فودي عميق وعهدي وثيق
اعيش على امل في اللقاء — فهلا يعود الحبيب الصديق؟

إبتهال

للشاعر: محمود محمد سالم

في سكون الدجى لمحت جلالك — ورأيت الوجود يحكي جمالك
واشع الاشراق يملأ قلبي — ضارعا من هداك يرجو نوالك
كل شيء يشف عنك دليلا — من بديع الحياة يبدو حيالك
كل شيء أراك فيه جميلا — أبدعته يداك حتى تمالك

***

كلما ان خافقي من هموم — ونزا الجرح بالدماء سعى لك
فمحوت الأساة رب ومست — نفحة منك ضائعا قد تهالك
وأنرت الدروب حين تغشت — بظلام من الضلال تحالك
واستردت بك القلوب الحيارى — سبل الحق واستبانت جلالك

***

وتراءت لها السماء مرايا — عكست من بهائها افضالك
في مدار الافلاك في الأنجم الشهـ — ـب وفي السدم قد مددت ظلالك
في هدير الأمواج والبحر طاغ — أسمع البحر وهو يروي مقالك
في الغدير الشفاف في الكوثر العذ — ب وهمس الغصون شمت جمالك

***

في انبثاق الأضواء من موكب الفجر — لمحت الأضواء تحكي مثالك
انت يا نور كل شيء تعالت — حكمة منك لست تنسى عيالك
انت آثرتهم بلطفك حتى — أصبح الكون كله قد عنى لك
تمهل الظالمين حتى يثوبوا — عن فساد ويدركوا امهالك

***

أو يضلوا ويمسكوا عن متاب — فيذوقوا من الجزاء نكالك
أنا يا رب ضارع في خشوع — أتملى في كل شيء جلالك
ملجئي أنت في الوجود وعوني — فانلني الرضا وهب لي نوالك
وانر لي الطريق في ليل عمري — يا الهي فقد عشقت وصالك

***

رب هب لي على الرشاد احتمالا — واقل عثرتي وهب لي حلا لك
في سكون الدجى وقفت أناجيـ — ـك بروح ودعت فيها ابتهالك
فانصر الحق أين كان وهبه — قوة في الحياة تحمي رجالك

التجديد واللغة
عند سلامة موسى

بقلم : فيصل دري خضر

تستطيع كل لغة حية أن تعيش وتتطور ، ماعاش وتطور أبناؤها ، فليست اللغة هي التي تشع الحياة أو الخمول في البشر ، بل هم الذين يبعثون فيها الحياة أو الركود بسلوكهم في الحياة ، ويدعي أن المجتمع يطور لغته وفق زمانه ومكانه بمعنى ملازمة التغيير في دلالة الكلمات للتحول الاجتماعي ، فهناك بين المجتمع والكلمة تفاعل لا يستقل به أي منهما ، ولا يمكن أن يجيء التغيير عن طريق جهد بشرى عامد يقسرها على سرعة التغيير ، لأن الجهد العامد لايتوفر له ما للاجماع من حساسية نحو نوعية التغيير .

ولكن اللغة بعامة عند سلامه موسى هي التي تحكم الناس فتسعدهم وتشقيهم ، لأنها في زعمه اما أثرية خاملة أبد الدهر كالعربية، تضفي خمولها وقصورها على الناطقين بها ، واما ذكية متفاعلة كاللغات اللاتينية دون استثناء ، فلأبنائها دون خلق الله جميعا الفهم والعلم والنشاط !!

وبهذا ينشيء قياساً من أقيسة المغالطة يضع هو مقدماته ونتائجه حتى يصل الى الجزم بأن العربية لغة ميتة علميا وأدبها ميت وليس أدب الملايين لأنه يكتب بلغة غير مفهومة !

والأمر لا يعالج على هذا النحو العصبي الخانق الذى عولج به في فصول متناقضة خرجت عن نطاق البحث الى مفهوم الكيد ، وكان من الممكن اعتبارها نزوة قلم عارضة قصد بها الرفه وارضاء النفس الخانقة ، وأنها جملة آراء متضاربة ، ماتت بموت صاحبها ، بل في حياته ، رغم موالاة نشرها بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ لأنها مجافية للواقع والحق . ولكن بعثها من جديد عام ١٩٦٤ فيمطبوعات أنيقة، هو تجميع أسلحة مفلولة ، يستعين بها في معركتهم جماعة الهدامين على القومية العربية وقيمها وآدابها. ومناقشة هذه المزاعم يراد بها ألا يلتبس الأمر على جيل عربي آمن بقوميته ولغته ، وسوف نرى أن نظرة سلامة موسى الى لغتنا وأدبنا وبلاغتنا التى حشدها في هذه الفصول ، لا تثبت للمناقشة .

فهو حين يصف العقلية العربية بأنها قديمة جامدة متبلدة تنظر الى الماضي،يجعل السبب هوتعلقنا بما أسماه حضارة الآداب والعقائد والزراعة ، وأن تسعا وتسعين في المائة من كتابنا سلفيون يؤثرون الفصحى ويتعلقون بالقديم ، نتيجة حرمان الأمة من الرقى الصناعى .

ولو صدر هذا من غير عربى لكان له ما يبرره من التحامل لدواع خفية ... ولكنها كلمات لا يقف وراءها الا الغرض ، وهو شيء تختلط معه الرؤية ، فلا يكاد القائل به يرى غير ما يهواه .

وليس باطلا أن يتعلق الناس في أى مكان بحضاراتهم العريقة ، أو يتدارسوا آدابهم القديمة أو يتفهموا الأمجاد السالفة ، والا لما اتسع أمام بصرهم المجال ليصفوا شيئا بالجدة وآخر بالقدم أو يوازنوا بين تافه وجيد ، والنظر الى الماضي وسيلة لبناء الحاضر ، وماضينا من أعز مفاخرنا وليس من عيوبنا ، والمجتمع الأمريكى الذى فتن به سلامه موسى حينا ، يود أن يتنزل عن نصف دنياه لتكون له عراقة الماضى ، ومن اجتث ماضيه انقطع به حاضره ، وتلك هي الغاية التى يصبو اليها الراغبون في تحطيم حاضرنا .

ولسلامه موسى الحق في أن يعتقد بافضلية هنرى فورد عن خالد بن الوليد أو معاوية أو حسان عند الترجمة لأعمال كل منهم كما يقول ، فهذا شأنه وتلك ميوله ، ولكن ليس له أدنى حق في أن يفرض على العرب رأيه في ذلك ، فقد تكون دراسة حول هنرى فورد نافعة في مجتمعه هناك ، عن دراسة لخالد ، ولكن هنا ، في أرض العرب ، قد تفيد دراسة علم من أعلام الصناعة ، ولكن بعد أن نفهم أولا من نحن ، ومن أجدادنا ، وماذا صنعوا لأنفسهم وللعالم كله ، ومدى الدور الذى أدوه في ركب الانسانية منذ كانوا ، وليس له أن يزعم أن العقاد لا يتميز بالروح الشعبى أولا يعمل على تكوينه ،لانه

يؤلف عن رجالات العرب ويكتب بالفصحى ويهمل العامية ، وكان الأحرى بصاحب هذا الزعم أن يصدر كتبه بالعامية التى مجدها ليكسب احترام الشعب ، ولا يكون سلفى الذهن فى لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه كما وصف العقاد .

أما الارتباط بين اللغة والعقيدة بالصورة التى أبرزها فلا وجود له البتة ، والا لكان الأحرى أن يستعجم لسانه تناسبا مع العقيدة ، ولكنا نعلم أن هناك من هو عربى وليس بمسلم ، ومن هو مسلم ولا يعرف العربية ، ونعلم كذلك أن بعض العقائد الباقية ماتت لغاتها الأصلية ، وأن ترجمات كثيرة للانجيل مثلا وضعت لتتمكن الشعوب من تأدية الصلوات بلغاتها ، ولكنه لم يفطن الى أن الكتاب السماوى الذى نزل بالعربية أقوى من أن تبلى العربية فى وجوده ، لأنه يحمل من معنويات اللغة ما يمدها بالحيوية والشباب والتجدد فى كل وقت ، وهذا هو الارتباط القوى الذى لم يدركه ، وعلى هذا لا تكون هناك أسباب لكراهة العرب للتطور كما يذكر ، لأن استمرار اللغة عملية مستمرة وهو يعطيها التطور تلقائيا دون حاجة الى وصفها بالتبلد والتجمد .

ويقول ان العربية تحمل رواسب تاريخية قد تعود علينا بالضرر لأنها كانت تخدم مجتمعا ربما كانت فضائله معدودة بين الجرائم فى سلوكنا العصرى . ولسنا بصدد بحث الجرائم او الفضائل السلوكية ومتى تكون الفضيلة جريمة أو العكس ، ولكن مسألة رواسب العربية هذه شىء لم يقل به أحد لأن الكلمة ذات التأثير الاجتماعى كثيرا ما يتطور معناها كل بضعة أجيال عددا من المرات تبعا لتطور المجتمع الذى تعيش فيه ، وبعض الأطالس اللغوية تعنى بتحقيق التطور فى المعنى الى جانب التطور فى اللفظ ، والكلمات الباقية على حالها هى الكلمات التى تؤدى معنى ثابتا أو كلمات معجمية طال اهمالها ، وهذه وتلك ليس لها من التأثير الاجتماعى الذى يخشاه علينا سلامه موسى ، بل انى تصفحت كل ماقاله فى كتبه بحثا عن كلمة يمثل بها فلم أجد الا كلمتى العرض والدم ، وقد عجبت لأنه لم يفهم أن الدم بمعنى الثار لا وجود له الا فى العامية التى يدعو اليها ، وأن كلمة عرض تمثل معنى انسانيا يضمن سلامة المجتمع من الأمراض والتفكك ، فحين يقول القائل : هــذا الشخص يصون العرض ولا يتناول بلسانه أعراض الناس ، اكتسب الموصوف احتراما وتقديرا يدعو الى التأسى به ، واذا جاء الوصف عكس ذلك بتره الناس من بينهم حتى يعيش المجتمع معافى من بوادر التفكك ، والكلمة الموحية يلتمس تأثيرها عند التعبيرات الوجدانية لا فى التراكيب المتداولة فى شئون الناس اليومية ، والمخاطب وجدانيا له من ادراكه ما يعصمه من الانفعال الخاطىء بالكلمة المشتركة ، ثم هو يفترض أن الكاتب فى العربية مقيد بالكلمات العاطفية الذاتية دون الكلمات الوجدانية الموضوعية لخلو لغتنا من هذه الأخيرة ، وهذا تخليط وزعم لا يستقيم مع اللغة التى كتب بها هو ، ونكتب بها نحن ، كل يوم ، بل ان هذا التقسيم الذى أجراه على الكلمات ليس عربى الوجه ولا يتلاءم بشروطه مع العربية ، فالكلمات الموضوعية التى يريد لنا تفضيلها هى مثل خمسة وشارع وكرسى ، والكلمات التى يريدنا على هجرها لأنها غير محددة ويسميها ذاتية هى مثل قبيح وجميل وشجاع وشريف ، ولا شك أن اللغة تتعرى من جمالها اذا أهملت الجمال والشجاعة والشرف وما الى ذلك . ويومىء بعد هذا الى أن البلاغة العربية لا تستطيع شيئا سوى التعبير عن العاطفة والانفعال وهذا لا يخدم التفكير العلمى أو الفلسفى ، وقد نسى أن الناس فى كل أمة يعبرون بلغاتهم فى أساليب أدبية او علمية حسبما يقتضيه المقام ، وليست العربية الا واحدة من هذه اللغات وان كان قد جردها من أسلوبها العلمى متجاهلا تراث علماء العرب الذى لا يزال موضوع دراسات أجنبية عند من استشاروا به فى أوروبا ، ولكن الأمر لايقف عند هذا الحد ، فلسلامة موسى جولات يهدف من ورائها الى «تلتين» الخط ، ونبذ الفصحى ، وهجر التأليف بالعربية ، فضلا عن انه هاجم كل القيم المقدسة لهذه اللغة ودعا الى تقديس كل مغاير لها لمجرد المغايرة .

« فيصل مرسى خضر »

رأى فى كتاب :

النثر الفنى فى القرن الرابع

بقلم : عبد المعطى المسيرى

الاديب الراحل الدكتور « زكى مبارك » من كتابنا المبرزين فى الربع الثانى من هذا القرن ... وقد صدرت له عشرات الكتب فى مختلف الفنون الادبية، كادب الرحلات والنقد والتصوف والشعر ، هذا بالاضافة الى الفصول الادبية التى كان ينشرها فى الصحف والمجلات ... ولكن أخطر مؤلفاته واهمها كتاب « النثر الفنى فى القرن الرابع » فهو من المصادر الادبية التى تبقى على الزمن تنير الطريق للباحثين ، وتعين الشباب على الدرس النافع ، وتوضح لهم معالم التراث العربى فى أسلوب ممتع، ومنهج جديد .

والمتتبع لحياة زكى مبارك يرى انه كان يعيش فى صراع متصل مع نفسه ، ومع عصره وكتاب عصره ... صادف من المتاعب وهو يشق طريقه فى الحياة والادب ما أورثه ازمة نفسية حادة انعكست مؤثراتها على ادبه على نحو جعله يبدو فى اكثر الاحيان منفعلا ثائر الاعصاب ، وفى ذلك يقول المرحوم الدكتور « احمد امين » : يظفر فيحتك بعالم أو كاتب ، فلا ينقده نقد عالم لعالم ، وانما نقد مصارع لعالم !! » .

***

ويبدو ان اديبنا الراحل وضع كتابه هذا ـ النثر الفنى ـ وهو فى قمة أزمته العصبية ، ومن ثم جاءت بعض تعقيباته على من تعرض لهم من اعلام العرب منافية لمناهج البحث الحديثة ... فعند مناقشته لهم نراه يعطف على الذين تشابهت ظروفهم وظروفه ، بينما يلح على غيرهم ممن نالوا حظا من الجاه والسلطان فيعلق على آرائهم بمثل هذه الكلمات «رأى مثقل بأوزار الضلال والخطأ » وكقوله « رأى فاسد » و « خطأ فاحش » ..

وقد غلبت عليه النزعة الوجدانية حتى لفتت نظر رجال الامتحان ـ كان الكتاب موضوع رسالة للدكتوراه ـ مما اضطره للاعتذار بشاعريته !!

ناقش المؤلف « الباقلانى » فى اعجاز القرآن فكاد يوفق فى نقض ادلة الباقلانى ... ولكنه افسد هذا التوفيق بالتزامه طريقة « نقد المصارع للعالم » !!

يقول عند ما تعرض للباقلانى : « وانا من اعرف الناس بالالفاظ والاساليب » ثم لا يلبث أن تغلبه نزعته فيعقب « والخيل هى الخيل ولكن الجواد لا يكون جوادا الا اذا اعتلى صهوته فارس مغوار ، وهو تحت الرجل الرخو اشبه بالحمار تحت الفلاح العبيط .

وهكذا نرى نصف الجملة الاول من وثبات الخيال ، ونصفها الآخر من سقط المتاع !

***

وعندما تحدث المؤلف عن « اخوان الصفا » لم يظفروا منه باكثر من هامشة قصيرة لا تغنى ، على مالهم من الاثر البين فى الدين والادب ، وكانت حجته فى هذا الاقتضاب الملحوظ أن الكتاب افاضوا فى الحديث عنهم ، كأن هؤلاء الكتاب لم يتحدثوا بافاضة عن الخوارزمى والجرجانى وابن عباد !!

وكذلك كان يلجأ فى بعض الأحيان الى طريقة واضعى « دوائر المعارف » ... ففلان ولد سنة كذا .. واشتغل بكذا ، ومن أحسن قوله .. وهو، وكان .. ثم مات سنة كذا !! وهذه الاشارات الخاطفة تجوز وتستحسن فى دوائر المعارف فعندها تقف مهمتها ... ولكن هذا الايجاز لا ينتظر من كاتب تعرض للبحث ، ويتوقع منه القراء المزيد من الابانة والتحليل والاستقصاء ليضيف الى المعلومات والمراجع العربية جديدا ينفع الادباء والمتأدبين .

***

وقد تحدث المؤلف عن أثر الشاعر فى جيله وفى الاجيال التى تلى ظهوره .. ومن رايه انه بمقدار ذلك الاثر .. اثر حظ الشاعر فى تطوير حياة قومه يكون الحكم له أو عليه ... ومن ثم كان خايقا بأديبنا الراحل ألا يتورط فى احكامه عندما يتعرض لأثر الدين فى الحياة والاحياء ...

اذا كان الشاعر مسئولا عن تطور حياة قومه ، وبقدر احساسه بهذه المسئولية والقيام بفرائضها يقيم أثره ووزنه ، فكيف يستكثر على رسالة سماوية أثرت لا فى المجتمع العربى وحده ، بل فى العالم

باسره ان يرد ما احدثته من تغيير وتطوير الى مبادئها واهدافها ؟!.

يقرر المؤلف ان النحو كان من قديم الزمان ، وانه كان للعرب من العلوم والاخلاق ، وما الى ذلك ما يؤهلهم لتلك النهضة التى ادهشت التاريخ بعد الاسلام ، ولم يدعم قوله هذا بما يؤكده بل لم يزد على الكلام التقريرى وعلى التعميم ... ومن ثم جاز لمن ينقده ان يطلب منه الدليل والبرهان وان يسأله اية علوم واية اخلاق أو قيم لمن كانوا يقطعون او يقطع عليهم الطريق ؟!

لقد كانوا يعبدون الاصنام ، ويئدون البنات ، ويخافون ان يتخطفهم الناس .. ثم اى مجتمع كان لهم وقتذاك ؟! اى نظام كان يحكمه ، واى ضعف وتخلف كان يطبعه تجاه المجتمعات المعاصرة التى كانت تعيش فى ذلك الوقت ، مجتمعات القياصرة والاكاسرة .. ثم كيف اتيح لهم وهم ماهم ان يفتحوا البلدان ، ويقيموا الدولة ، ويؤثروا فى العلوم والآداب وينتشروا فى الارض بهذه السرعة السريعة !! .

لاشك ان مرد كل ذلك للدعوة المحمدية الكريمة التى هدمت كل أوضاع حياتهم ، واقامت بناءها الجديد على أسس جديدة لم تاخذ من الماضى شيئا لا كما زعم وجارى فى ذلك بعض المستشرقين بأن ازدهار الادب العربي خاصة ، والنهضة العربية بوجه عام كان يمكن أن يتم على اى نحو بفضل ما كان للعرب من علوم واخلاق وقيم !!

وعلى النقيض من ذلك كان موقف معاصره الدكتور أحمد امين ، ففى كتابه : « ضحى الاسلام » تحدث عن اثر الرسالة المحمدية فى تطور الحياة ودفعها ... وذلك فى تصويره للجهاد العنيف الذى دار بين العلم والجهل ، والدين والالحاد حتى استقام للاسلام ان يرسى قواعد الحياة الجديدة .

يقول المرحوم احمد أمين :

« فى اقل من خمسين عاما من آخر الدولة الاموية الى صدر الدولة العباسية كانت اغلب العلوم قد وضعت ودونت ونظمت سواء فى ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن الكريم والحديث والفقه واصوله ، وعلوم اللغة والادب على اختلافها ، والعلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة والكلام .

وكان نشاط المسلمين فى ذلك يسترعى الانظار ، ويستخرج العجب ، وليس هناك من نشاط يشبهه الا نشاط العرب فى فتوح البلدان .

وقد نظم العلماء انفسهم فرقا كفرق الجيش ، كل فرقة تغزو الجهل او الفوضى من ناحيتها حتى تخضعها لنظامها ، ففرقة للغة ، وفرقة للحديث ، وفرقة للنحو ، وفرقة للكلام ، وفرقة للرياضات وهكذا يتسابقون فى تدوين العلم وتنظيمه تسابق قبائل العرب فى الفتوح والغزوات ، كل قبيلة تود ان تكون السابقة فى الميدان .

ووجد فى ساحة الميدان العلمى قواد بارزون يتنافسون فى الابتكار ... فاذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه ، ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العروض ، ويرسم المنهج لمعجم اللغة ، وهكذا فى سائر الفروع .

***

على هذا النحو يصور « ضحى الاسلام » كفاح الذين جاء الدين فتاثروا به وأثر فيهم ودفعهم للعمل والابتكار حتى انه ليسجل بعد ذلك أن المسلمين ظلوا طول حياتهم العلمية يعيشون على هذا التراث بلا ابتكار ولا زيادة .

وايا ما كان فالنثر الفنى جهد مضن مشكور اثرى المكتبة العربية ، وقدم للدارسين ، ولشبابنا المتادبين عملا ينفعهم ويعين على ارتياد الطريق – طريق البحث والدراسة لمعالم التراث العربى ، مما يسلك صاحبه فى صفوف الكتاب المجتهدين والمجاهدين .

« عبد المعطى المسيرى »

قضية الموروث في الشعر

بقلم : محمد ابراهيم ابوسنه

عندما قال هيراقليطس « ان الانسان لا يستطيع أن ينزل النهر الواحد مرتين » لم يكن يعنى أن نهرا جديدا يحل محل النهر القديم وانما كان يعنى أن مياها جديدة تتدفق دائما في نفس النهر ، لقد كشف هذه الكلمة عن قانون اعتمدته الفلسفة العلمية بعد ذلك أساسا من أهم اسسها وهو قانون الحركة الشاملة التي تخضع لها المادة والفكر معا . والحركة تعنى التطور المستمر وتعنى كذلك وجود صراع بين متناقضات تجد حلولها في الحركة الجدلية . وبدون هذه الحركة المستمرة يفقد الزمان دلالته فالاختلاف بين الشاب والشيخ هو اختلاف يعكس الامتداد الزمنى لحركة الخلايا داخل جسم الشيخ والشاب معا . وعندما نقف عند تعريف « قدامة بن جعفر للشعر مثلا بقوله « الشعر كلام موزون مقفى يدل على معنى » ثم نطالع قول الكاتب المسرحى الفرنسى جان أنوى « الشعر سمكة من سمكات القيعان الزرقاء مضيئة وعمياء » لانجد الا الحركة ملاذا لادراك هذا التباين الهائل بين الحدين وان كان قول جان انوى ليس تعريفا علميا مثل تعريف قدامة .

لقد استخدم قدامة في تعريفه للشعر وسائل عصره ، اللفظ والوزن والقافية والمعنى ، وأخضع هذه الوسائل لمعيار المنطق الشكلى . هذا المنطق الذى شاع استعماله في كافة العلوم العربية والشرعية عقب اكتشافه بعد ترجمته الى اللغة العربية ، وتدخل هذا المنطق في الفقه والبلاغة حتى أفسد كثيرا من هذه العلوم لعدم مراعاة طبيعتها الخاصة ، وقد أقبل قدامة بن جعفر على موضوع الشعر مسلحا بهذه العقلية المنطقية التي تكاد تتنافى تنافيا كاملا مع طبيعة الشعر كفن . واذا اجزنا تطفل المنطق على مناهج بعض العلوم فان الفن يحتفظ بأقل درجة من الاستعداد لتطفل المنطق الشكلى عليه . وربما كان هذا هو السر في أن الشعر في العصر الحديث قد افلت من التعريفات الصارمة اللهم الا بعض الاقوال التي تقترب من جوهر الشعر ولا تحدده كتعبير جمالى عن الحقيقة . واذا كان تعريف قدامه قد افسح السبل أمام ماليس بشعر ليكون شعرا كالمنظومات العلمية مثلا فانه لم يقترب من جوهر الشعر . أما جان انوى فقد اشار في قوله « مضيئة وعمياء » الى دور الشعر في التعبير عن الحقيقة الشعرية خلال عبورها في اللاوعى . يشير انوى الى استفادته من الدراسات المعاصرة كعلم النفس الذى ينظر الى الفن على انه تعبير عن الرغبات المكبوته .

ان الشعر كظاهرة خاضع لقانون هيراقليطس وخاضع بأبعاده الكثيرة للحركة سواء في الرؤية الشعرية للعالم او في بناء التجربة الشعرية او اللغة التي يستخدمها او النظرة النقدية له .

ان النظرة لدور الشاعر في العصر الجاهلى تتسم بهذا الطابع القبلى حيث كل فرد يصادر لحساب الجماعة . ويتحتم أن يأخذ التعبير عن العواطف الفردية كالحب مثلا في اعتباره القيم الاجتماعية والاخلاقية للقبيلة حيث لا توجد تجربة معزولة عن الاطار الذى تصممه الجماعة . وعندما تتنافى ظروف تجربة معينة مع التقاليد القبلية فان هذه التجربة تصطدم بالصخور كما حدث في تجربة عنترة العبسى . وهذا الاحساس الذى كانت القبائل تتقاسم الشعور به عندما يولد فيها شاعر فتذهب القبائل للتهنئة يحدد لنا دور الشاعر في هذا المجتمع وكان الشعر وظيفة ذات حدود معروفة . فعلى الشاعر أن يفخر بأمجاد القبيلة ويدافع عنها ويهجو أعداءها ويرثى شهداءها ويشيد بأبطالها . ان هذه النظرة تتطور في ضوء الحركة الاجتماعية وتغييرها حتى نلاحظ ظهور الشاعر المستقل بعواطفه والذى لا يلتزم بدور في القبيلة ، وذلك في مطلع الدولة الاموية عندما اتاح الترف وشرف المنصب لابناء الاغنياء والامراء من العرب ان يستقلوا بحياتهم الخاصة كعمر بن أبى ربيعة والاحوص وغيرهم . ومع نشوء الغناء في ساحات الامراء وجدت النزعة الفردية سبيلها الى النمو ، وعبر الشعراء عن عميق عواطفهم الخاصة . وهكذا مر الشعر بحلقات من التطور الخاضعة لتطور العلاقات في المجتمع نفسه ، فنرى الشعراء يلتحقون بخدمة الخلفاء في عصر النشاط السياسى للدولة العباسية ، وتظل النظرة النقدية والرؤية الشعرية للعالم مثقلة بهموم عصرها حتى العصر الحديث . وفي أوربا اختلفت نظرة الشاعر للعالم

فالشاعر الكلاسيكي كان يرى مجده الشعري في تطبيق التقليد الادبي · وكان الاحساس بالاخلاق والواجب يشرع له منهجه الادبي والفني ·

وعندما جاء الرومانتيكيون تحررت أرواحهم من التقاليد وانطلق بيرون يبني تاريخا كاملا في اشعاره للغزوات الغرامية ، وتردد في كل نشيد من أناشيده هذا الحزن العميق الذي يتراوح بين احتقاره للعالم ورثائه لنفسه · لقد حمل بيرون في اشعاره مسئولية التعبير عن العذاب الارستقراطي الذي كان يعانيه · هذا العذاب الذي يرى بيرون انه الميراث الوحيد لحياة هؤلاء الذين يضنيهم الطموح والتعلق بالمخاطر والمجد · يقول عن نابليون ·

« لكن الهدوء جحيم بالنسبة الى النفوس المتوثبة وهذا كان سبب شقائك وبلائك · ان ثمة نارا وحركة في النفوس التي تأبى أن تنحصر في دائرة وجودها الضيقة ، بل تصبو الى ماوراء حدود الرغبة المعتدلة المتوسطة · انها حين تشتعل مرة بهذه النار العسيرة الاطفاء لتتحرق عطشا الى المخاطر العالية ولا تتعب من شيء الا الراحة · هذه النار حمى في القلوب قاسية على كل من يحملها وكل من اصيبوا بها · انها هي التي تصنع هؤلاء المجانين الذين ينقلون جنونهم بالعدوى الى بقية الناس من فاتحين غزاة وملوك ومؤسسي شيع ومذاهب ، يضاف اليهم السوفسطائيون والشعراء والساسة ومن اليهم من كائنات يعذبها القلق » ·

أما شيلي فيعلن :

« ارجو أن يؤذن لي بان اعترف بأني أحمل بين جوانحي شهوة لاصلاح العالم » ·

ويقول كيتس :

« أنا جامع الياقوت الازرق ، وهي مهنة محفوفة بالمهالك وصخرة القريض تقف فوق رأسي كالبرج المنيف » ·

ولا شك أن التطور في الرؤية الشعرية للعالم قد جعل هذه الرؤية تتبنى تعبيرا جديدا فرضته ظروف القرن التاسع عشر والقرن العشرين وفي القرن العشرين حرر اليوت وازرا باوند وييتس وثيقة الشعر الحديث وفسح أودن وأراجون واليوار وناظم حكمت وبابلو نيرودا باشعارهم طابعا مميزا للعصر ·

لكن مامعنى ان تكون هناك رؤية معاصرة في الفن ؟ ·

ان كل عصر من العصور يكافح من أجل الاعتراف بذاته ، وهذا الاعتراف يكشف عن حقيقة هذا العصر من ناحية وما يمكن أن يضيفه ذلك العصر الى التراث البشري من ناحية ثانية ·

والذاتية معناها الجدة والاصالة والانسان الذي يفنى في تقليد ما أو يتبع في فنه أثر فنان عظيم معين يفقد ذاته وبالتالي اصالته ، وهذا ما يوضحه وليام كارلوس في كتابه : مقالات مختارة اذ يقول :

« ان من يعرف ويفيد من معرفة العظماء لابد وان يحيا حياة من التضاد العنيف ، فهو كلما ازداد عمقه في فهم أعمالهم في لحظات توغله في دراسة هذه الاعمال وجد نفسه في لحظات اخرى اكثر ميلا لان ينأى بنفسه عنهم لكي يظل هو نفسه انسانا ، ولكن اذا ما اراد هو نفسه القيام بعمل عظيم فلن يتمكن من الاستفادة من العناصر التي تكونت منها عظمتهم الا عن طريق هذا العنف وهذا الانعتاق من السيطرة » ·

فالى جانب مايضيفه العصر الى الوعي الانساني من عناصر قد تكون مضادة لعصر سابق فان هناك الحاحا دائما من العصر على الاعتراف بذاته · هذا الاعتراف هو دلالة الصدق الوحيدة في التعبير عن العصر ، ولكن هذا لايعني ان الاجناس الادبية تقطع صلتها بالتقاليد الادبية السابقة ، بل انها تظل على صلة قوية بأي تقليد قادر على التشكل بأسلوب العصر ·

ان الناقد الامريكي م · ل · روزنتال في كتابه « شعراء المدرسة الحديثة » يعطي مفهوما واضحا لبقاء الموروث حيا في الجديد عندما يقول :

« وكما أن أول معرفة لنا بالشعر تعود الى الانطباعات الدفينة الاولى التي تتكون فينا في عهد الطفولة ، والى أغاني ألعاب الصغر فان الفن نفسه يستجمع تاريخه بأسره في كل قصيدة شعرية ، فالقصيدة الواحدة تجمع بين نوعي الذاكرة التاريخية والشخصية في بؤرة واحدة ، والماضي والحاضر ينير كل واحد منهما الآخر وكأنما ثمة مؤلف واحد يعمل خارج الزمن · ان تاريخ الشعر حي ماثل في قصيدة كل شاعر وكذلك الانغام والالحان التي يتردد صداها في سنواته المبكرة الاولى » ·

ورغم ذلك فان مشكلة الشكل في الشعر تظل مشكلة جوهرية ، ذلك أن الشكل دائما هو الوسيط الطبيعي لتجربة المجتمع الذي يعيش فيه الفنان ومدى خضوع هذا الوسيط لأسلوب عصره هو الذي يحدد

قدرته على التعبير عن حقائق العصر الذي يولد فيه.. ان الشيخوخة والعقم للشكل الذي تحجر من طول الاستخدام تصل به الى حد العجز الكامل عن اداء وظيفته ، ولذلك تنشأ الحاجة باستمرار الى تحطيم هذه الأشكال كما يقول اليوت : «ان الاشكال تحتاج الى ان تحطم ويعاد صنعها من جديد ، ذلك أن العصر يطرح قضيته في الفن ودون أن تتجسد هذه القضية محافظة على ملامح عصرها في الشكل الفني فانه يتحتم تدميره واستبداله .

ويقول ت س اليوت : « هناك اشكال تناسب بعض اللغات ولا تناسب لغات أخرى وجميع الاشكال في عصور اكثر مناسبة من عصور منها في عصور أخرى . فالشكل الذي يتبع نظاما معينا في الايقاع والتقفية يناسب مرحلة معينة ويكون فيها تشكيلا طبيعيا مشروعا للغة الكلام في نمط شعري ، ولكن هذا الشكل معرض لخطر الجمود في الاسلوب الذي كان شائعا في وقت ان بلغ كماله . وهذا خطر يزداد كلما ازداد الشكل تعقيدا وكثرت القواعد التي يلزم ان تتبع في تاليفه تاليفا صحيحا فيفقد الشكل بسرعة صلته بلغة الحديث الدارجة المستمدة في التعبير ، لأن الشكل المعين تطغى عليه النظرة الفكرية المعينة لجيل سابق » .

وهكذا يصبح النضال من أجل اكتشاف شكل جديد هو في ذاته نضال من أجل اكتشاف العصر ذاته للتعبير عنه تعبيرا صادقا ، ويؤكد روزنتال في كتابه السالف الذكر ان ليس كل جديد أصيل « فالطرافة في القصيدة ليست وحدها التي تحدد مدى اصالة الشاعر وانما تحددها كذلك قدرته على الافادة من التراث الشعري » .

ومن هنا نرى أن النظرة الجامدة التي تدافع عن التخلف تحت راية التراث لاتعي معنى الحداثة في الفن . انها ليست مطلقا الانفصال عن التراث ولا انكاره ، انها الحاجة اللازمة للتعبير عن حقائق العصر والوسيلة الوحيدة للاعتراف به حتى يستطيع الفن في عصر معين أن يضيف جديدا الى التراث البشري . وحتى يظل التاريخ حيا ولا يكف الفن عن التطور كالمياه الجديدة دائما في نهر هيراقليطس .

« محمد ابراهيم ابو سنه »

إلى ولدي علاء
في عيد الثورة الثاني عشر

الشاعر: عبد المنعم عواد يوسف .

من وحي عينيك اللتين تفجران لنا الضياء
من وحي ثغرك وابتسامته التي توحي الصفاء
اشدو بشعري ، يامنى عمري ، وآمال الوضاء
وأبوح بالنغم الشفيف ، وبالنشيد ، وبالغناء
واحسه وحي السماء ، وانه وحي السماء
شعر سرى من ذوب روحك أنت ياولدي علاء

***

ولدي علاء وسوف تكبر ذات يوم ، ياصغيري
ولسوف تدرك اي ظلم كنت فيه ، واي نير
انا واحد من ذلك الجيل المردى في السعير
جيل اضاعوه بعهد غاشم الرؤيا ضرير
جيل المآسي والعذاب وصولة الظلم المثير
حكامه القوه للاهوال في حقد حقير
ورموه بالأرزاء والآلام ، في سود العصور

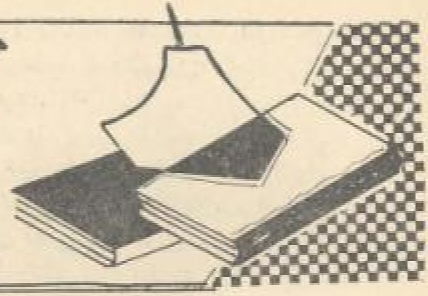
***

لا ، لا تروع يا علاء ، فكل هذا الليل راح
واطل فجر عاطر الأضواء ، بسام الصباح !
الثورة الكبرى اماطت عن سنا النصر الوشاح
فاهنأ بني بعهدك الوضاح واضحك في مراح
واغنم ثمار جهادنا الدامي وأيام الكفاح
فالليل ، ليل الظلم راح ، وضم واديك الصباح

***

ولدي علاء ، واقبل الميثاق ، اقبال الربيع
فتبسمت كل الزهور ، وأينعت كل الزروع
لا ، لن تضل ، ولن تذل ، ولن تشرد ، لن تجوع
فالخبز حق للجميع
والعدل حق للجميع
فابعث بيسمك الشكور لرمز ثورتنا : جمال
اشكره من عمق الضلوع ، فباسمه طرح النضال

تعقيبات



بقلم : عباس خضر

أصالتنا الفكرية ومنجزاتها.. هي العازل الحقيقي للشيوعية

«ان المجتمع المصرى الذى يقود عملية التطور العربى كلها وتجاربها الفنية الرائعة ـ يقدر الآن على نظرة عادية الى موضوع الشيوعية والشيوعيين» .

هذا الذى قاله الاستاذ «محمد حسنين هيكل» (ملحق الاهرام ٢٩/١/١٩٦٥) حق لاشك فيه . وكذلك قوله : **«اننى لا ارى للشيوعية او للشيوعيين مستقبلا في مصر ، ولا في العالم العربى»** .

كيف وصلنا ـ فى مصر وفي العالم العربى ـ الى هذه الحال الرائعة ؟

بنى الأستاذ هيكل رأيه ذاك على أسباب تاريخية تلخص مراحل الحركة الشيوعية فى مصر ، فقال ان الفكر اليسارى تاخر وصوله الى مصر حتى الحرب العالمية الثانية بسبب ظروف اجتماعية وسياسية يطول شرحها . **وكان مؤسسو الحركة الشيوعية بمصر فى ظروف الحرب العالمية الثانية من الاجانب عموما ومن اليهود بالذات** ، وكانت هذه بداية منفرة ، نفرت التيار الوطنى منها ، فكانت ابعد ماتكون عن حركة النضال الوطنى المصرى ، وكانت مشاركتها في هذا النضال او في بعض ادواره من عمليات التاكتيك لا اكثر ولا اقل . **وكانت مجموعة من الافكار المائعة والعائمة تعتمد فى الجذب اليها على الاغراء بالجنس والمال** ، ولهذا سادت جوها حزازات وانقسامات واحقاد دون ان يصدر عنها جميعا فكر واحد يعالج واقع المجتمع ومشاكله .

وقاد الخطأ الوطنى الى الخطأ القومى ، اذ لم تستطع الحركة الشيوعية في مصر ـ وفي غيرها من بلاد العالم العربى ـ ان تستكشف حقيقة التاريخ العربى الواحدة ، والنضال العربى الواحد ، والمصير العربى الواحد ، وتصورت القومية تصورا عنصريا شعوبيا فوقفت من الوحدة موقفا عدائيا ، وقاومت منجزات الثورة العربية لأنها تتم بدون قيادة شيوعية .

وذلك كله حق لاشك فيه ، ولكنه ليس كل شيء ولا اهم شيء فى نفى مستقبل الشيوعية والشيوعيين فى مصر وفى العالم العربى . انها اسباب واخطاء تاريخية لاتتغلب وحدها على الحاضر والمستقبل وان كانت لها فاعلية فيهما .

يمكن ان يقال ان الاخطاء الماضية ليست حجة على الفكرة الثابتة ، او بعبارة اخرى **ان التطبيق** الخاطىء لايدحض النظرية ، وان ماوقع فيه الشيوعيون فى الماضى ، أو ما لابس الشيوعية فى الظروف الماضية ، يمكن ان يتغير على يد جيل آخر وفي ظروف اخرى قد تكون مواتية .

يمكن ان يقال ذلك ، وهو منطق مقبول من

الوجهة الجدلية ، فلابد ان ننظر في الامر على ضوء آخر ، تتبين منه الحقيقة الثابتة فى الواقع الذى لايقبل الجدل ، وخاصة فى هذه الحال التى قال عنها بحق الاستاذ هيكل :

«ولقد تجاوز المجتمع المصرى ـ يقينا ـ هذه المرحلة (يقصد المرحلة التى كان المجتمع فيها لايملك مقاومة الشيوعية الا بالوسائل البوليسية) ووصل فى تجربته الذاتية ونضجه السياسى نتيجة لها الى الحد الذى يجعله قادرا على مناقشة كل فكر ، قادرا على فهم العقائد وفرزها قادرا على ان يقبل مايريد ، ويرفض ـ او يلفظ ـ مالايريد وعيا واقتناعا فى الحالين !»

والواقع ان فترة مابين الحرب العالمية الثانية وبين قيام ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ـ وهى الفترة التى تسربت فيها الافكار الشيوعية الى مصر ـ كانت صالحة لاستنبات هذه الافكار ونموها ، لولا الأسباب التى بينها الاستاذ محمد حسنين هيكل ، ولعل اهمها تزعم الاجانب لها وخاصة اليهود ، والمسلك الخلقى للشيوعيين من ناحية الاغراء بالفتيات اليهوديات ، فقد كان من السهل ان يقع شاب في حبائلهن ، ولكن هذا الاغراء نفسه كان منفرا للشاب نفسه .. الشاب الذى يبحث عن العدالة الاجتماعية ، فيجد في طريقه تلك «المساخر» التى قد تنجح في مخاطبة غريزته ، ولكنها تخفق كل الاخفاق في اقناعه بأن هذا «الجو» هو الوسيلة الى الغاية البعيدة التى يتطلع اليها .

كنا حائرين في تلك الفترة ، نخبط فى ظلام دامس ، ونحاول ان نتبين الطريق . وكانت الشيوعية من المعالم التى تتراءى لنا على انها يارومل ! » ، ولم نكن نحب ان تقدم الينا جيوش سبيل للخلاص . لقد هتف بعضنا : «الى الامام المحور ولا راغبين فى استبدال اجنبى مستعمر باجنبى مستعمر .. انما **كنا نتلمس اى طريق الخلاص ، ولو على يد رومل .. او الشيوعية !**

ولعل من المفيد هنا ـ من ناحية الدلالة العامة ـ ان اعترف الآن بان فكرة الشيوعية قد راودتنى فى تلك الظروف .. واستجبت لها فكريا .. واقتنعت فى وقت من الأوقات ـ كأى شاب حائر في ذلك الوقت ـ انها السبيل الوحيد الى التحرر مما كنا فيه .

كنت شيوعيا من غير «ملف» عند البوليس .. لانى لم اتصل بحبال «الخلايا» .. انما كان ذلك بينى وبين نفسى فقط ، وربما جادلت فيه من خالفنى في الرأى ، او تبادلت فيه الامانى مع من كان مثلى .. شيوعيا «مفلسا» ومن غير «بنت» يهودية .. ومن غير «ملف» عند البوليس !

وانفجرت ثورة ٢٣ يولية ، وآمنت باننا ـ نحن انفسنا ـ نستطيع ان نزرع الحياة في ارضنا ببذور من عندنا ..

وقد كان !

فما حاجتنا الى الشيوعية ؟

وتوالت الانتصارات الثورية فى الداخل والخارج ، في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، صانعة لنا اشتراكية خاصة ، اشتراكية عربية نابتة فى ارض عربية ، لاتجنح الى «اليسار» ، ولا تقف جامدة فى «اليمين» وصارت لها منجزات، وتكامل لها كيان خاص ، وتكونت لها فلسفة معينة .

واذا كنا قد استطعنا فى الظروف العصيبة التى مررنا بها أن نصنع لأنفسنا اكتفاء ذاتيا فى الميدان المادى الصناعى ،فكذلك صنعنا مثل هذا الاكتفاء فى ميدان الفكر .وليس معنى هذا او ذاك أننا نرفض ما يعزز صناعتنا أو فكرنا وينميهما من الخارج،وانما معناه ان لنا مجرى رئيسيا يستقبل الروافد .

ونستطيع أن نقول بعد ان المجتمع المصرى اولا قد صارت له خطة ثورية متكاملة ، ان لم تكن قد حققت كل مايصبو اليه ، فهو فى الطريق الى أهدافه فى ضوء كاشف .

أما ثانيا فان المجتمع العربى العام أصبح يتطلع الى الشقيقة العربية : مصر ، ليسير في الطريق الذى سارت وتسير فيه .

والذى نراه بعد ان أصالتنا الفكرية ، وما حققته، وما هى فى الطريق الى تحقيقه فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع، هى العازل الحقيقى للشيوعية، وهى التى تصهر أو لابد أن تصهر مواطنينا الذين كان لهم ماض فى الشيوعية . وقد عادوا الينا فعلا بأفكارهم ومشاعرهم الوطنية ، ومن لايزال منهم فى غربته الفكرية فلا بد أن سيعود .

واعتقد أن ما دعا اليه الأستاذ محمد حسنين هيكل من الافساح لمواطنينا « الشيوعيين » أن يقولوا ما عندهم ، استنادا الى الواقع الملموس من بلوغ مجتمعنا من الرشد ووصوله فى تجربته الذاتية ونضجه السياسى نتيجة لها الى الحد الذى يجعله قادرا على فهم العقائد والتمييز بين الصالح وغير الصالح منها . **اعتقد أن هذا نفسه ، لا الاجراءات البوليسية ، هو الذى سيجعل اخواننا الشيوعيين أو الذين كانوا شيوعيين ، سيجدون شيوعيتهم لا موضوع لها ، وسيجدون انفسهم منصهرين فى كيان المجتمع الاشتراكى العربى ، وليس لديهم ما يقولونه مخالفا او حتى شبه مخالف .**



● مسرحية « سكة السلامة » للأستاذ سعد الدين وهبة ، فيها صحفى يضلل سائق السيارة التى تحمل « مجتمعا » من مختلف الأفراد والأعمال . كانوا جميعا يريدون الاسكندرية ، أما الصحفى فكان يريد مرسى مطروح ، فأشار الصحفى الى السائق أن يسلك الطريق الى الغاية التى يبغيها موهما السائق أنه طريق الاسكندرية ، فضلوا جميعا .. يبدو لى أن المسرحية ترمى الى نقد الصحافة المنحرفة وتصوير مدى جنايتها على المجتمع . الى ما فيها من نقد فى زوايا أخرى من المجتمع الجديد. وهى مسرحية جيدة ، ولعلها أحسن ما ألف سعد الدين وهبة .

وبرغم ذلك لم تهتم الصحافة بالكتابة عنها كما كانت تهتم بمسرحيات المؤلف الماضية .. لأنه الآن بعيد عن العمل الصحفى ! وهذا نقد آخر للصحافة .

وفى القليل الذى كتب عنها لم يشر أحد الى ما ترمى اليه من تصوير ما تفعله الصحافة المنحرفة من التضليل على الرغم من أنه موضوع المسرحية كما بدا لى من بنائها العام ومن لمحات أخرى .

ان « سكة السلامة » من الادب الذى تدعو اليه لنقد مجتمعنا الحاضر وما يجرى فيه من صراعات بين القيم الجديدة وبين مخلفات الماضى .

● من محنة الأدب أن الأديب اذا عمل فى الصحافة كسب شهرة واسعة وشبع تقديرا .. واذا عكف على تجويد الانتاج الأدبى بعيدا عن الصحافة أهمل هو وانتاجه .. وقد لحظت ذلك أيضا فى الفترة التى نشأ فيها الجيل الماضى ، وذلك فى أثناء دراستى لتلك الفترة ، فجل الذين لمعوا سلكوا طريق الصحافة ، وتخلف عن ركبهم من لم يسلكوا هذا السبيل مع أن بواكير انتاج الآخرين كانت أجود من بواكير الأولين .

● قال الأستاذ خالد محيى الدين فى مقاله بالعدد الماضى من أخبار اليوم :

« ان عددا ممن يتولون قيادة الفكر اليوم لايرتبطون بالرأسمالية على أساس من مصلحة ، ولكنهم ارتبطوا بها فى نفوسهم وعقولهم ، وتأثروا بأفكارها خلال الدراسة والتحصيل فى مدارسها ، وخلال قراءاتهم واطلاعهم طوال سنوات وسنوات ، بحيث لم يعد سهلا عليهم أن يغيروا مواقفهم ، ومع ذلك لا بد من السعى الدائب لتغيير نظرتهم، والعمل المستمر من أجل كسبهم الى صفوف الاشتراكية »

اننا نعانى من هؤلاء أكثر مما نعانى من غيرهم ، لأنهم حسنو النية ، وودنا لهم يمنعنا أن نستبيح معهم ما نستبيحه مع غيرهم .

عباس خضر

حول الأدب

بقلم عبده بدوى

حول قضية النكبة

كل من يتجول فيما كتبه **الدكتور صالح الأشتر، والدكتورناصر الدين الأسد وكامل السوافيرى وغيرهم** عن أثر المأساة الفلسطينية فى الشعر ، يخرج هو الآخر بمأساة من نوع جديد هى أن الشعر ــ رغم كثرته ــ وقف بعيدا عن وهج هــذه القضية ، صحيح أن صوته قد بح من الصياح ، ولكنه لم يكن الصوت الذى سحبت من تحته الارض ، ومن نفسه الحياة،ومن حاضره النضارة ، ومن عينيه الدموع !

فالحزن فى هذه الفترة لم تتشربه النفس العربية شيئا فشيئا ، والمأساة التى مازالت قائمة لم تتجاوز اللحم الى العظم ، ومن هنا فقد أصبح ما يقال صرخة بلهاء ، أو حنينا الى بيارة ، أو سأما ساذجا من الحياة أو طرح رموز مفتعلة على القضية من الدين ، أوحشوا يكمل به الشاعر رحلته لكى يصل الى نهاية البيت ، أو الى الدمعة السـاذجة الاخيرة فى القصيدة !

ثم تطل مأساة صغيرة برأسها حين يحس القارىء أن ما يقال من شعر فى نكبة فلسـطين ، يمكن أن يقال فى أية قضية أخرى ، لانه فى حقيقــة الامر لايحمل وجها عربيا ٠٠ لايحمل حزن الارض، ورعب الاطفال ، وانكسار الشيوخ ، وهذه الهزيمة التى تطل من صوت يابس، أو شجرة محاصرة بالمتسلقات أو منزل يجاور فيه الصمت الموت ، أو عشية تطل ورقة منها على وطن مذبوح ، بينما تطل الاخرى على ارض معتدية ، أو خط وهمى كنت أرجو كما شرخ الارض العربية أن يشرخ النفس العربية ، وان يظل هذا الشرخ مشاهدا ومتواصل الأنين فى بذرة الكلمة، فى ساق الكلمة ، فى صراخ الكلمة وهى فى الهواء بين العواصف والطيور والشمس والظــلام والموت والصمت !

ولكن الذى حدث الآن انه **ــ فى ميدان الشعر ــ** قد قنع كل بحدوده ، بحيث رأينا الشــاعر اما أن يتجول فى نفسه ثم يفرز لنا أشياء غريبة على الحياة واما أن يثرثر عن البيت الذى اغتصب ، والزيتونة التى تجف ، والملل الذى يغدو ويروح فى نفسه ،

ثم نراه يقفز فى نهاية القصيدة قفزة بهلوانية مفتعلة ثم يقول سأعود الى هذه الارض !

ولعل هذا يسوقنا الى المأساة الكبرى التى تتمثل فى ان المأساة لم تتحول الى قيم كبيرة يتمثل بعضها فى الانتظـــار ، والنفى ، والوطن ، والحرية ، وأزمة الانسان فى هذا العصر ، فالذى يحدث اننا نستعمل هذه القيم كالفاظ ، أما ان نحس بها كقضايا كبيرة تشغل حروف الشاعر وكل ظلال هذه الحروف ، بحيث يمكن أن نقول ان هذا الشاعر يعطينا عذاب الانتظار ، ويجعل هذا الانتظار يضغط على اعصابنا بثقله وببرودته بل يتعدى أعصابنا الى الاحساس بالحياة نفسها ، أو أن نحس هذا الشاعر الذى نفته ظروفه عن الحياة ، ثم نراه لا يستسلم لليأس ولكنه يظل – من الخارج – يضرب ثم يضرب بأزميله حتى يعود ثانية الى ماسة الوجود ثم يلتحم بها من جديد خيطا من وهج ، وبريقا من تألق .. أما ان نجد شيئا من هذا أو شيئا قريبا من ذاك فشىء أشك فى الاهتداء اليه ، ولعل هذا هو الذى جعل أديبـــة – **كغادة السمان** – تقول بموت ماساة فلسطين فى ضمير الفرد العربى .

اننا لن نذهب بعيدا كما ذهب – **جبرا ابراهيم جبرا** – حين ذكر أن حركة التجديد فى الشعر والقصص والرموز والاساطير فى العالم العربى كانت من نتائج النكبة ، لسبب واحد هو أن هذه الحركات لو كانت نتيجة للنكبة لاستطاعت الارتفاع أو الاقتراب من قضية النكبة ، ولكانت الحروف التى تكتب –بالاضافة الى الرموز والاساطير – مغموسة تماما فى مـــداد النكبة ، وفى الجرح الذى لا يزال الى الآن مفتوحا فى الوجود العربى ، بل لعاش دائما شىء حزين مقلق يشغل فكر الانسان العربى حتى وهو يضحك ، حتى وهو يمرح .. حتى وهو يبكى ، ولكن الذى لا شك فيه أن الضحك الذى نضحكه ، والدموع التى نذرفها ليس فيها شىء لفلسطين !

ونحن حين نحدق فى وجه هذه المأساة نجد أن هناك من خانوا هذه القضية – على الصعيد العربى – بل نستطيع أن نلمس هذه الخيانة فى بعض صفوف الشـيوعيين الذين رأوا فى الوقوف الى جانب هذه القضية تعارضا مع الأيديولوجية التى يأخذون بها ، فاذا أضفنا الى هذا بعض المفكرين الذين يخاصمون كل شىء تشتم منه رائحة العروبة ، أو الذين يمولون من جهات تتعاطف مع الصهيونية .. اذا أضفنا هذا ادركنا السر الحقيقى للعقم الذى أصاب حبة قلب هذه القضية !

بل أستطيع ان أقول ان الصخور التى ترمى بين الحين والحين أمام الحضارة العربية كقضية القوميات المنقرضة ، وكقضايا العامية وقصيدة النثر وترجيف التفعيلة وتعليلها ، وتبنى أقوال المستشرقين المناوئين للحضارة العربية ، ووضع الالغام تحت كل ما هو شامخ ومضىء فى الفكر العربى ، وحصار كل الذين يهتمون بالحضارة العربية الاسلامية .. أستطيع أن أقول ان هذا وغيره يكمن وراءه كل الجوانب العقيمة فى حياتنا الفكرية ، وفى مقدمة هذه الجوانب قضيـة فلسطين !

***

ولعل جريمة قتـــل الحضارة العربية لا تظهر بشاعتها الا حين نرى الجانب الآخر من قضية فلسطين ، فنظرة واحدة الى ما يفعله اليهود تؤكد أنا نقتـــل أنفسنا مرتين لا مرة واحدة ، وبخاصة حين ندرك أن اللغة العبرية القديمة قد جفت فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وانها انزوت تماما ابتداء من هذه الفترة الى المعابد ، ثم كان أخذهم بعد ذلك باللغة الآرامية ، حتى انهم فى عهد المسيح كانوا يتكلمون الآرامية بل ان بعض أسفار العهد القديم مكتوب بالآرامى ، ثم كانت تبعيتهم بعد ذلك للثقافة الرومانية ، ثم بعد فترة نراهم يستعملون لغة اليدش (ترجع فى أصولها الى الالمانية فى العصور الوسطى) ولغـــة اللادينو (لغة اليهود المهاجرين من اسبانيا والمتأثرة بثقافة المسلمين هناك) .

وحين يظلهم القرن التاسع عشر نراهم فى كل مؤتمر يؤكدون انه لا وجود لوطن بدون لغة ، وفى ضوء هذا كان بعث اللغة العبرية ، وكانت التراجم التى لا تكف عنها واليها ، وكان الجيل الجديد الذى أصبح يتقنها بالرغم من أن آباءه لا يتكلمون الآن هذه اللغة ، وكان اهتمام كثير من دول العـالم بكل من ترتفع قامته من خلال هذه اللغة ، ولعـــل آخر من سمعنا عنهم الآن شاعر تضرب حوله الطبول يسمى «بياليق» ..

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانا نراهم .. يحركون كل الشعراء الذين يمتون اليهم بصـــلة

ليعبروا معهم عن قضيتهم وعن آمالهم ، ولعل فى مقدمة الذين تحركوا معهم الشاعر الروسى (افتشنكو) الذى قدمنا له أخيرا فى مجلاتنا وصحفنا مهرجانا ضخما للتعريف بعبقريته ، بل ولتعريف ، ولترجمة قصيدة (بابى يار) التى يدافع فيها عن اليهود ، ويدين كل الذين يعادونهم ، ثم التركيز على طريقة نشره لهذه القصيدة ، وتبادله العناق مع كثير من الرفاق بعد نشرها ، ونفاد كل النسخ من جريدة (ليترارى جازيت) لانها تحمست لهذه القصيدة ٠

ومع انى لست ضد اقامة مهرجان لهذا الشاعر ، ولكني كنت أحب أن يناقش عدد من الكتاب هذه القصيدة فى ضوء ما فعله شاعر روسى يسمى : (الكسى ماركوف) فقد رد على قصيدة «بابى يار» ، (لافتشنكو) بقصيدة وصفه فيها بانه قزم قد نسى الشعب الذى ينتمى اليه !

ولكنا فى شغل عن المعاول التى تنهال على قضايانا، لان فى يد بعضنا معاول أشد جراة ، واكثر حقدا من المعاول التى تنهال علينا من الخارج !

ومهما يكن من شىء فالذى نريد أن نصل اليه هو أن ضرب الحضارة العربية ، والافتراء عليها ظلما وبدون دليل غير هذه الادلة الحاقدة التى يروجها بعض المستشرقين ومريديهم شىء لا وجود له الآن فى غير هذه المنطقة العربية ، فالشعوب كما تبنى نفسها اقتصاديا تبنى نفسها فكريا ، ولكننا لانريد أن نبنى الافكار الجديدة على الارض الخالية ، ولا نريد أن نزيد طابقا على المعمار الصامد الذى يحمل لبنات البقاء فى الحاضر والمستقبل ٠٠ لانريد شيئا من هذا ولا شيئا قريبا من هذا ؛ لأننا مشغولون تماما بهؤلاء الذين لاهم لهم الا أن ينسفوا فى ميادين الفكر هذه الحضارة ولقد كان هؤلاء من المهارة والحماس للعمل وللحقد فى الوقت نفسه ، بحيث استطاعوا أن يعقدوا السنة الكثيرين من الدهشة ، وان يجعلوا منهم مجرد متفرجين ، أو مصفقين ، أو لامباليين ٠

وعلى كل فان أى انسان يريد أن يطل اطلالة كبيرة على حصاد الشعر فى هذا الحقل الحزين المصفر الجذور والاوراق ، فانه لابد أن يعبره سريعا - فى الغالب - لانه لاتوجد ورقة تشد الهدب ، أو زهرة تجذب البريق ، أو ثمرة يقف عندها ميناء النور فلا يتحرك ، ومن هنا نرى القارىء يلم ياسه وعجبه فى الوقت نفسه ، ثم يهاجر بشوق الى هؤلاء الشعراء الذين صهرتهم النكبة ، والذين نتفت من أجنحتهم الريش ، وعصرت قلوبهم داخل صدورهم ، ثم شردتهم فى أكثر من بلد عربى أو على حدود المأساة ذاتها ٠

والنظرة الاولى ترينا عددا من الشعراء فى مقدمتهم أبو سلمى ، وعلى هاشم رشيد ، وكمال ناصر ، وعيسى الناعورى ، ومحمود الحوت، ومحمد العدنانى ودعد الكيالى ، وعصام حماد ٠ وهؤلاء يقومون بعملية رثاء للحياة ، ويتوعدون فى جهارة اليهود ، ويستنهضون العرب ، ويؤكدون فيما يشبه الصراخ أنه لابد من العودة ، وشعر كل واحد منهم لايختلف عن شعر الآخر من حيث التصميم، والحدة والارتباط بالتقاليد القديمة للقصيدة العربية ٠

والى جانب هؤلاء بعض الشعراء الذين ترق عندهم التجربة وتصفو وتشبه بحيرة صغيرة من الدموع ، لا تتحرك الا حين تهب نسمة أو ينكسر غصن ، أو يشرب عصفور ، ومن هنا يحس الشاعر أن مأساة فلسطين هى مأساته الشخصية ، وان أقل بادرة تجعله فى حاجة الى أن يبكى لنفسه قبل أن يبكى للناس ، وأن يتذكر انه هو الذى ضاع ، وانه فى حاجة الى شىء ليذكره بهذا الشىء الذى ضاع ٠

وقد يكون هذا الشىء هو تذكر جبل النار حيث تقيم «رقية» ، وقد يكون اقبال العيد على لاجئة ، وقد يكون احساس ثقيل بالزمن حين تقبل الاعوام الجديدة وقد يكون الوقوف بدموع عند فكرة تقول ان غناء البجعة يشتد اذا جرحت ، وقد يكون تذكر شاعر مغترب ، وقد يكون أخيرا أشواقا تائهة محبطة كما يظهر واضحا فى ديوانى وحدى مع الايام واعطنا حبا للشاعرة **فدوى طوقان** ، والذى يمكن أن نهتدى الى شىء من هذا الشجن فى الابيات التى تختم بها ديوان اعطنا حبا حيث تقول :

● انتهينا يا رفيقى

حينما كان استغاثات غريق بغريق

لم تكن تملك لى شيئا ولا كان لدى

لك شىء

وتلاشى صوتنا

فى اصطخاب الموج ، فى غور بحار الظلمات

عبثا كنا نريد الحب أن يمنحنا خيط الحياة
أنت تدرى : لا تسل عن حبنا
نحن حاولنا ولكنا فشلنا
أسفا ،ماذا غنمنا ؟
غير غصات أسانا وجراح الأغنيات ؟

● وتفس هذا الشجن والاقتراب من جوهرالحزن نحسه عند الشاعر **هارون هاشم رشيد** في ديوانه : أرض الثورات حين يبتعد عن الخطابية ويقترب من الاشياء الصغيرة من حوله كما في قصيدة مكتبتي ، وكما في تلك اللحظة الشعرية التي وجد فيها طائرا يقبل من الشمال ثم يصطدم - من الشوق - بنافذة للشاعر في غزة ، فهو يقول :

● **حط على نافذتي طير جريح اخضر**
دماه من جناحه على الحديد تقطر
من الشمال حيث اطياف المنى تخطر
وحيث احشاء الصخور بالحنين تزهر
حيث الربا تحكي الروايات ويشد وعنتر
حيث المواويل التي يضوع منها العنبر
من الشمال ٠٠ من ذرا تاقت اليها الأنسر
من الشمال ٠٠ حط هذا الطائر المعفر
الريح من ورائه والعاصفات تزأر
والموت والليل الرهيب والأذى والعسكر
مشرد مثلى ومثل والدى مهجر
يا طائرا يزقو على نافذتي ويزفر
ويضرب الحديد من آلامه وينقر
الليل مهما امتد لابد العذاب يقهر
وانت أنت من جديد في الفضا تصفر
وتلتقى بالعش حيث لا باغ ولا مستهتر
وحيث تزقو الزغب في أحضانه وتكبر
الفجر من جناحك الدامى غدا سيظهر !

● وتجربة الطائر هذه نجدها متكررة في الشعر الفلسطيني الحديث ، ومن أنضرها تلك التجربةالتي قدمت في ديوان «عائدون» للشاعر **يوسف الخطيب** تحت عنوان العندليب المهاجر ، فمن أبياتها :

أتراك مثلى يا رفيق تمر في الزمن
عبر المهالك والليالى السود والمحن
لا صاحب يرخى عليك غلالة الكفن
أتراك مثلى تغتدى خمارة الشجن
تذرو بقية عمرك الصادى بلا ثمن
لكان في عينيك بعض اللمح من وطنى
لو قشة مما يرف ببيدر البلد
خبأتها بين الجناح وخفقة الكبد
لو رملتان من المثلث أوربى صفد
لو عشبة بيد ومزقة سوسن بيد
اين الهدايا مذ برحت مرابع الرغد
أم جئت مثلى بالحنين وسورة الكمد ؟

***

أتراك مثلى يا رفيق فنحن سيان
أشجانك الكثر الكئيبة ذات أشجانى
أتراك أقسمت المعاد بمثل ايمانى
فى ضحوة البعث الملوح يا رفيق الحورة الثانى
قم داو جرحك يا رفيق الحورة الثانى
انا هاهنا فى كل يوم شئت تلقانى :

***

والى جانب هؤلاء وهؤلاء نجد طائفة أخرى من الشعراء تقترب من المفاهيم الكبيرة للقضية كالحرية والنفى ، والانتظار والغربة، مثل **أمين شنار، وراضى صدوق،** وفائز صياغ ، وكلثوم مالك عرابى ، وجبرا ابراهيم جبرا لولا انه يحول دائما قضيته الى قضية رموز مسيحية زاعقة لاتستدعيها التجربة ، بل ان كل تجاربه تموت تحت هذه الضغوط التى يقصم بها كاهل أعمال الشعرية ، ولعل الفرق بينه وبين الشاعر معين بسيسو أن «معين» يجعل الرموز فى خدمة الشعر وعنده دائما اللمسة السحرية التى تحول كل شىء الى شعر سواء أكان هذا الشىء رمزا ، أو فكرة ، أو حرفا من الحروف ، فكل هذه الاشياء وغيرها قد تحولت فى دواوينه الثلاثة الى شعر كأعمق مايكون الشعر. ولتوضيح هذا نقدم نصا لجبرا ابراهيم جبرا بعنوان : خرزة البئر ، يقول فيه :

● خرزة البئر
ملتقى أيدى الصبايا العائدات
بالدلاء الساكبات
ينبوعا فى الجرار
بين ضحك وغناء
أفم الرمس أضحت ،
أفم الغناء ، يلقم بالصبايا
بالحبالى الساكبات
الدم الملوث بالرصاص
والعناقيد هل يبست من حولها
واحترق القمح واندلقت
قراب الزيت على بديد الحجارة ؟
وعليها صلب عيسى من جديد ؟

خرزة البئر لنا جلجلة ثانية
من ثغرها الخصيب غدا
ستنطلق الحمم السوداء
لاهبة لاظية

بينما يقول جبرا ابراهيم جبرا هذا نجد معين بسيسو يقول مثلا فى قصيدة بعنوان : الى طفلتى دالية :

● وكمصلوب يحلم
لو تلمس قدماه ..
الارض الثانية كنجم
لو يمشى ،
لو يسمع وقع خطاه ..
أنا أحلم بشتاء ،
أنا أحلم أن نمشى ،
كفك شعلة برق
فى كفى شعلة نار
تحت الامطار
وورائى أعلام الدمية
أجراس جليد
تتلوى فوق الأسوار
مائة شتاء قد مر وما زال
مصلوبك يا وطنى يحلم
لو تلمس قدماه
الارض الثانية كنجم
لو يمشى
لو يسمع وقع خطاه

وفى ضوء هذا نرى أن هذه «القطعة من النار» قد أخذت تبرد فى كف الشاعر العربى وفى قلبه ، ولكن وميضـــا من الوهج لا يزال يبرق فى نفوس الشعراء الفلسطينيين ، وقد يلهب هـــذا الوميض الأيدى والوجوه ، ولكنه لن يصل الى النفس والى صهرها وتحويلها الى ما يشبه الدموع الا اذا تحول الى معان كبيرة تتخطى القصيدة الغنائية الى أشكال أخرى تستطيع أن تستوعب الاحزان الكبيرة والعميقة التى تتعلق بمصير الانسان وضياعه ونفيه فى هـــذا العصر أكثر مما تتعلق بالحنين الى زيتونة فى وسط دار ، أوراية متوجة بالبرتقال ، أو طفلة تتجول داخل ملجأ من الملاجىء .

وليس معنى هذا ان العبء الشعرى ـ ان صح هذا التعبيـــر ـ يقع على أحزان الفلسطينيين وحدهم ، وليس معناه أن نرفع شاعريتنا عن كل ما يتصـــل بقضايا الانسان العربى فى المنطقـــة تمسحا فى الشيوعية ، أو اقترابا من هؤلاء الذين يصرخون فى بعض مجلات بيروت من أن هموم الانسان العربى الآن تكاد تنحصر فى السأم والملل والتمزق ورفض كل ماله وجه عربى !

ولقد وصل الحد الى أن بعض الفلسطينيين يتبنون هذه الشعارات ، ويضعون أيامهم فى خدمتها، ولكن نظرة من جديد الى القضية من خلال الواقع العربى المعـــاصر ، ومن خلال الرؤية التى تؤمن بالانسان وحقوقه فى الارض والذكريات والتاريخ ، تؤكد أنه لابد من الالتقاء الجديد الواعى حول قضية فلسطين لا الى حد حمل القلم فقط ، ولكن الى حد حمل القلم بيد والسلاح بيد .

ان البعض يهرب من هذه القضية ، والبعض يخمد أصواتها التى تطل كالرؤوس الصغيرة فى نفسه .. ولكنها فى الواقع قضية كل قلم عربى ، وما لم تحل هذه القضية ، وما لم تغمس الأقلام فى مدادها ، فان أشياء كثيرة ستظل تافهة وعقيمة فى نفس الانسان العربى ، وفى فكر الانسان العربى .

انه لابد من عودة بالاقلام الى هذه الارض ، ولا بد من دخول بالاقلام الى حبة قلب كل انسان فى هذا العالم باسم هذه القضية ، تحت كلمات كبيرة كالحرية واحترام الانسان والحياة .

وما لم نفعل هذا فسيكون هذا العصر مدينا .. واجوف ، وهزيلا ، ومصابا بالعقم .

صحيح انه لابد من التخلص من أشجار اللبلاب التى تغطى وجه الحقيقة ، ولا بد من القاء الضوء على القتلة الذين لايكفون عن صرع الانسان العربى .. والحضارة العربية ، ولا بد من اكتشاف الزيف الذى يكسو وجه البعض .. ومع أن هذه المهمة ليست سهلة ، الا انه لابد من الاقدام على هذه المعـــارك بجسارة وضراوة ، مادامت هناك الأيدى التى تشل الفكر ، وما دامت هناك الاقلام التى تفرز السم .. وما دام هناك الأمل فى انتظار فجر جديد ينتزع انتزاعا فى أول الامر من أفق هذا البلد المغتصب ، ثم ينتشر ويمتد فى أفق كل بلد عربى ، ثم يمكن للعالم أن يقول من جديد .. ان الاوان قد آن ليعيش العالم مرة ثانية فى ظل الحضارة العربية بعد أن أصبحت الحـــاجة الى مفاهيمها وانسانيتها واضحة للعـــالم ، وبعد ان ظهر افلاس بعض الأيديولوجيات التى تحكم العالم .

« عبده بدوى »

سكة السلامة

رحلة الاختبار والاختيار

بقلم : جلال العشرى

من المؤلفين من يبدأ بداية قوية يمضى بعدها فى خط صاعد ، ومنهم من يبدأ نفس البداية ولكنه يمضى فى خط هابط ، ومنهم من يمضى فى خط متعرج يبدأ قويا ثم يهبط ثم يعود ليصعد من جديد . والامر فى النوعين الاول والثانى واضح لاحيرة فيه لان المؤلف صاعدا أو هابطا انما يمضى فى خط مستقيم .. فهو اما فنان كبير قال ما عنده ثم استدار ليقول ما عند الآخرين واما فنان ذو تجربة قالها ولم يعد عنده ما يقوله . ولكن الذى يدعو الى الحيرة حقا هو النوع الثالث ، ومصدر الحيرة فيه أنك لا تدرى أتحكم على الفنان من خلال عمله الفنى أم تحكم على العمل الفنى من خلال الفنان ؟ .

وسعد الدين وهبه فنان من النوع المحير ، محير لأنه يجبرك دائما على الاعتراف بموهبته ولكنه لا يجبرك فى كل الأحيان على الاعتراف بفنه .. فمسرحيته « **المحروسة** » عمل فنى ممتاز ولكن « **السبنسة** » دونها بكثير ، و « **كوبرى الناموس** » مسرحية نادرة ولكن « **سكة السلامة** » اقل منها بكثير .. وبكثير جدا .. وسبب ذلك أن الكاتب فى مسرحياته الثلاث الاولى صدر عن خبراته الوجودية بعد أن مزجها بموهبته الفنية فوضعنا أمام عمل ناجح يعبر عن « الذات » من ناحية ويتمثل فيه التكامل الفنى من ناحية أخرى . فثلاثيته الريفية بحق أشبه بسيمفونية متكاملة الاجزاء رغم ضعف الحركة الثانية أما مسرحيته الاخيرة فالامر فيها يختلف كل الاختلاف لان الكاتب هنا ينتقل من مرحلة التعبير الذاتى الى مرحلة التناول الموضوعى ، أو هو يتخذ من تجاربه الذاتية نقطة ارتحال لانقطة انطلاق .. وهنا المغامرة وهنا أيضا البطولة . فالكاتب بعد أن نجح فى تأكيد موهبته يحاول الآن أن يؤكد فنه . والنجاح فى تأكيد الموهبة مرهون بالتجربة ولكنه فى حالة تأكيد الفن مرهون بالثقافة . فهل نجح سعد الدين وهبه فى تأكيد فنه ؟ الجواب : ليس بعد !

فهنا مسرحية متصدعة البناء تكاد تخلو من الحدث الدرامى ، صحيح أن الكاتب وفق فى التقاط اللحظة الدرامية الفاصلة التى قذف فيها بشخصياته الى خشبة المسرح . ولكنه لم يوفق فى رفعها الى مستوى الحدث الدرامى الذى ينمو ويتطور حتى يصل الى الذروة ، جماعة من المسافرين وضعهم الكاتب فى احدى عربات البولمان واطلقهم فى الطريق الصحراوى من مصر الى الاسكندرية ، وفى الطريق يتوه السائق أو يخدعه أحد المسافرين ممن تراءى لهم أن يوجه السائق الى طريق مرسى مطروح بدلا من طريق الاسكندرية اختصارا لرحلته . وتكون النتيجة أن يتوه السائق تماما وتغرس العربة فى الرمل ... لقد ضل السائق الطريق وغرست العربة فى الرمل وضاع المسافرون فى مكان ما بالصحراء . وعلى لحظة الضياع يرفع الستار ويأخذ المؤلف فى تقديم أشخاص المسرحية واحدا بعد الآخر .

وهكذا ترى الكاتب يبهرك بموهبته الفنية فى الوقت الذى تضيع فيه خيوط المسرحية ، فبدلا من أن يرفع الستار عن المأزق نفسه وعن الممثلين وهم فى قلب المأزق مما يساعد اللحظة الدرامية على الارتفاع الى مستوى الحدث والحدث نفسه على النمو والتطور ، رفع الستار عن الممثلين يقدمون أنفسهم على المسرح واحدا بعد الآخر مما أعطاهم فرصة الاحساس بأنفسهم أكثر من احساسهم بالحدث بل فرصة الاحساس بجمهورهم أكثر من الاحساس بالمؤلف ، خاصة وأنهم ليسوا مجرد ممثلين بل هم عمالقة المسرح القومى كل منهم له اسمه وكل منهم له جمهوره .

فاذا فرغ الممثلون من تقديم أنفسهم وراحوا يتعرفون على بعضهم وعلى حقيقة المحنة التى هم فيها ، وجدنا أنفسنا ازاء مجموعة متنافرة من الأشخاص كل منهم يلف ويدور حول نفسه ، ومع

أن الكاتب لجأ الى شخصية الصحفى الفضولى بمهنته الذى يستجوب كلا منهم على حدة ، الا أننا لا نلبث أن نعود الى عملية تقديم من نوع آخر ، ساعد عليها فى هذه المرة أن الكاتب اختار ممثليه قبل أن يختار شخصياته أو هــو اختار الممثلين الذين يريدهم ثم راح يبحث لهم عن الأدوار التى تناسبهم .. الغ توفيق الدقن فلن تجد من يقوم بدوره ، الغ شفيق نور الدين فلن تجد من يقوم بدوره ، الغ سميحة أيوب فلن تجد من يقوم بدورها ، وهكذا منذ اللحظة الأولى وكل ممثل يمثل لحسابه الخاص لا لحساب المسرحية لأن الممثلين لا يستمدون قوتهم من النص وانما النص هو الذى يستمد قوته من الممثلين .

ثم لماذا اثنى عشر شخصا او زيادة ؟ صحيح أنهم شخصيات متنافرة جمع بينهم مكان واحد وظرف واحد كما جاء فى مقال الصحفى الذى وقع فى أيدى المسافرين . ولكن « التنافر » وحده لا يكفى ان لم يكن هناك « تمايز » بين الاشخاص يجعل كلا منهم نمطا فنيا قائما بذاته بحيث يكون استدعاؤه الى خشبة المسرح نتيجة للحتمية الفنية التى يقتضيها تكامل العمل كله ، أما اذا تشابهت الشخصيات من الداخل .. من حيث الانفعال ونوعية الانفعال من حيث التفكير وحركة التفكير فهم جميعا نموذج فنى واحد رغم اختلاف الأسماء واختلاف الشكل التشريحى واختلاف المركز الاجتماعى ... ضع الصحفى فوق المحامى فوق رئيس مجلس الادارة تخرج فى الآخر بنموذج فنى واحد هو نموذج المثقف الذى يحتل مركزا اجتماعيا مرموقا ولكنه لا يعبأ بقيم ولا يهتم بمبادىء ، فالصحفى يخدع السائق المسكين لكى يختصر رحلته والمحامى يغش القرعة لكى يقضى على حياة السائق الآخر ورئيس مجلس الادارة يرشوه لكى ينجو بنفسه فهم جميعا متشابهون رغم ما بينهم من اختلاف او هم فى آخر الأمر نموذج فنى واحد . ثم ضع « الأرتيست » فوق الزوجة الشابة الخائنة فوق الأرملة التى مات زوجها يطلع لك نموذج المرأة التى تبحث عن الارتواء الجنسى ، الأخيرة تجده فى شخصية العمدة والثانية تجده فى شخصية الموظف وتجده الأولى فى شخصية الثلاثة الأول مجتمعين .فهن جميعا متشابهات رغم ما بينهن من اختلاف لأنهن فى الحقيقة نموذج فنى واحد . تبقى بعد ذلك شخصية « الريجيسير » التى وفق سعد الدين وهبة فى تحضيرها واطلاقها على خشبة المسرح فكانت بحق أكمل الشخصيات وأروع الشخصيات سواء عندما كانت صدى لشخصية الأرتيست أو عندما كانت شخصية طريفة تبعث على الضحك أو عندما كانت شخصية تائبة تتوجه الى الله بالضراعة والابتهال . وكان يمكن الاكتفاء بشخصية الريجسير ليتم التلوين الدرامى ولكن المؤلف شاء أن يصنع مما تبقى من شخصية أخرى جديدة هى شخصية « المومس الشاب » التى جاءت فجة ممجوجة فضلا عن أنها ليست الشخصية الملحة الصارخة فى واقعنا الاجتماعى وخاصة واقعنا الجديد الذى يحفل بنموذج الشاب « المتاورب » أو «المتامرك» الذى يتأثر بنجوم السينما ويقف على ناصية الأمريكيين .

اقول كما انه لم يكن هناك داع لكثير من الشخصيات المتكررة ولا أقول المتكاملة ، لم يكن هناك داع أيضا لكل هذه المناظر التى حفلت بها المسرحية .. ستة مناظر وخاتمة .. لماذا ؟ لأن المسرحية تفتقر الى مقومات الشكل المنطقى الذى يتطور فيه الموقف من مرحلة الى المرحلة التى تليها بالضرورة والحتمية الى أن تتم تصفية الموقف الدرامى فهل حدث شىء من هذا ؟ بالطبع لا .. لم يحدث شىء من هذا وانما الذى حدث أن المؤلف لجأ فى بعض الأحيان الى مبررات خارجية لاسدال الستار .. كسماع أزيز طائرة فى المنظر الاول من الفصل الأول فاذا ما رفع الستار عن المنظر الثانى من نفس الفصل وجدنا أن الحدث لم يتقدم خطوة واحدة فالصحفى لا يزال يستكمل التعرف على بقية المسافرين . وبماذا ينتهى الفصل الأول ؟ باكتشاف أحد المسافرين أنهم ضائعون فى مكان ما بالصحراء ! لذلك كان من الأفضل أن يقع الفصل الاول فى منظر واحد ينتهى بما حدث فى منتصف المنظر الأول من الفصل الثانى .. أعنى بمجىء سائق السيارة الأخرى . وهكذا ينتهى الفصل الأول بانتهاء مرحلة درامية ليبدأ الفصل الثانى بمرحلة أخرى جديدة .

اقول ان شيئا من هذا لم يقع لأن المسرحية تكاد تخلو من الحدث الدرامى الذى ينمو ويتطور حتى يصل الى الذروة فيتحكم تبعا لهذا كله فى رفع واسدال الستار . وقبل أن اغادر هذه النقطة أبادر فاقول انه ليس لأحد أن يحتج بأن المؤلف لم يأخذ بالبناء التقليدى للمسرحية وانما هو يساير الموجات

الجديدة . ذلك لأن مسرحيات الموجة الجديدة اذ تتمرد على حتمية البناء الكلاسيكي تستبدلها بحتمية من نوع آخر ، فبدلا من حتمية المسرحية محكمة الصنع هناك حتمية الترابط في الحوار وحتمية التكامل بين الأشخاص وأمامك مسرحيات اللا معقول فهل تستطيع أن تحذف شخصا واحدا بل فقرة واحدة من مسرحية « في انتظار جودو » مثلا دون أن يختل العمل كله ، أو هل تستطيع أن تتخيل المسرحية في أكثر أو أقل من فصلين اثنين ؟

اما هنا فنحن بازاء عمل لا يضره ان تحذف فقرة او اكثر ، بل ان تحذف شخصية او اكثر . فماذا لو حذفنا شخصية التاجر الراسمالى الذى كان وجوده كعدمه . وماذا لو اكتفينا بشخصية الصحفى واستغنينا عن زميليه المحامى ورئيس مجلس الادارة، وماذا اخيرا لو حذفنا بعض « النكت » الفجة من قبيل ان « هملت » سمى هذا الاسم لأن امه هملت في تربيته ، وأن « حسونة » مخرج واقعى لانه كلما خرج من مصيبة وقع فى مصيبة ، وان عبارة « فيفازاباتا » أصلها ان فيفا (اسم الدلع من مصطفى) ضبطته زوجته مع امراة أخرى فانقضت عليه وهى تصرخ : « فيفا .. ظبطك » .

واذا تركنا المسرحية بمناظرها الستة وانتقلنا الى الخاتمة وجدنا أنفسنا مرة أخرى أمام عملية تقديم جديدة ، فالممثلون بعد أن قدموا أنفسهم فى أول المسرحية للجمهور يقدمون أنفسهم فى آخر المسرحية لله ، فهم جميعا مخطئون آثمون يطلبون من الله الصفح والغفران ، فاذا ما استجاب الله لدعائهم وابان لهم طريق النجاة وجدنا البعض يختار سكة السلامة والبعض الآخر يختار سكة الندامة ، ولكن لماذا ؟ لماذا رضى المؤلف عن قرنى وسوسو ومحمد ولم يرض عن الباقين مع أنهم جميعا كما قال أحدهم « فى الهوا سوا » .. لا أدرى !

اما عن الاخراج فمع اعجابى بموهبة **سعد اردش** وتقديرى لثقافته أقول انه لم يكن فى أسعد حالاته باخراج هذه المسرحية ، وربما لأنه لم يستطع ان يذيب ثقافته فى فنه فبقى الفن فيه والثقافة وكأنهما شيئان اثنان لا شىء واحد ، فمنذ اللحظة الأولى وأنت تحس « باللاتجانس » بين اتجاه المؤلف وأسلوب المخرج ، المسرحية واقعية فاقعة، جماعة من المسافرين تعطل بهم « الأوتوبيس » فى الطريق الصحراوى فوجدوا أنفسهم فجأة فى مكان ما بالصحراء ، مهددين بالموت جوعا وعطشا ، ضائعين لا يعرفون سكة السلامة من سكة الندامة لأنه ليست أمامهم سكة على الاطلاق ،فبماذا استقبل المخرج خيوط هذه المحنة التى كان لا بد لها من أن تتعقد حتى تستحيل الى مأساة يحسها الممثلون فضلا عن الجمهور ؟ بديكور تعبيرى فاقع تفوح منه الشاعرية والخيال،ديكور يصلح لاستقبال قيس وليلى أو فاطمة وامرىء القيس ولا يصلح لاستقبال جماعة فى مأزق يتحول الى محنة ثم الى مأساة مما ساعد الممثلين على عدم التعايش مع روح الحدث .. فالتنافى بينهم يزداد بدلا من التآزر ، والنكت والقفشات « على ودنه » ، والبطلة فى المنظر الاول تناجى الليل والنجوم ، والعاشقة فى المنظر الثالث تنسى المحنة وتنسى ما يمكن أن تؤدى اليه من فضيحة ولا تبحث الا عن الغرام ، بل ان العمدة فى المنظر الأخير لا يرى فى المقابر الا أنها « حتة شرحة وجوها جميل » . وكذلك الجمهور لم يحس بمحنة هؤلاء الناس ولا بمأساتهم وانما أحس بمتعتهم وسعادتهم وكأنهم شلة من الأصدقاء يقضون يوم شم النسيم فى الفيوم أو القناطر الخيرية .

واذا كانت الشخصيات هى الأخرى شخصيات واقعية فاقعة .. عمدة ، أرتيست ، ريجسير ، رئيس مجلس ادارة .. الخ . فلا أدرى لماذا بالغ المخرج فى تلوينها فلجأ الى الموسيقى يرسم بها صورة تعبيرية لكل شخصية أو يضع بها خطا كاريكاتيريا تحت كل اسم . وأى نوع من الموسيقى؟ موسيقى أشبه بموسيقى « حسب الله » ، أو هى على أى حال ليست الموسيقى التى أسماها فاجنر باللحن الدال « لاتيموتيف » ، وقصد بها أن تكون رمزا على كل شخص من أشخاص أوبراه حتى يتم الايحاء وتكتمل الصورة الموسيقية .

وبعد الديكور والموسيقى تجىء التكوينات التى رسمها المخرج واستعان فى رسمها بثقافته فى الفن التشكيلى ، تكوينات ممتازة بلا شك .. تجمع بين المدرك البصرى الجميل والمعطى الجمالى الرائع ولكن على حساب ماذا ؟ على حساب الفعل والحركة فى المسرحية . خذ مثلا شخصية التاجر الراسمالى فى المنظر الاول ، صحيح أن المؤلف لم يجعل له دورا فعالا فى المسرحية ولكن المخرج كان يستطيع أن يبقيه عند السيارة ولا يستدعيه الا وقت

اللزوم ، كان يمكنه أن يفعل ذلك كما تقتضى تقاليد الدخول والخروج فى المسرح ، ولكنه رأى فيه قطعة بشرية تصلح لتجميل الديكور فوضعه صامتا فى أعلى الربوة . خذ أيضا التكوينات الثنائية فى المنظر الثالث حيث يدخل الموظف وعشيقته فلا يخرجان بعد أن يؤديا دورهما ولكن المخرج يبقيهما عند أسفل الربوة ليبدأ الثنائى الآخر (العمدة وجلنار) فى الكلام ، وما أن يفرغا ويظلا فى مكانهما عند رأس الربوة حتى تظهر الأرتيست ورئيس مجلس الادارة فى أعلى الربوة وبذلك تكتمل عناصر اللوحة التشكيلية مع مراعاة التناسب فى المساحات . ثم خذ بعد ذلك المشهد الذى يتجه فيه الجميع لاستقبال السائق الآخر فيقفون فوق الربوة وظهورهم للجمهور .. تكوينات استاطيقية بارعة ولوحات تشكيلية ممتازة ولكنها لا تتناسب على الاطلاق مع ناس فى مأزق ، ناس فى عصبية ، ناس فى قلق وتوتر واضطراب . ان عبقرية الفن التشكيلى شىء وعبقرية الفن الدرامى شىء آخر ، عبقرية الفن التشكيلى فى تجميد الرؤية الفنية فى المكان ، وعبقرية الفن الدرامى فى طرح هذه الرؤية على امتداد الزمان ، الفن التشكيلى روحه النحت والفن الدرامى روحه الشعر .

يبقى أخيرا الممثلون الذين تفوقوا جميعا فى التمثيل ولا أقول فى أداء الأدوار ، فى طليعتهم سميحة أيوب عملاقة المسرح المصرى التى استطاعت بسلوكها اللفظى والحركى أن تكون مركز الثقل فى المسرحية كلها ، ثم توفيق الدقن الممثل الداهيةالذى أثبت قوة عضلاته فى الامساك بكل دور أداه حتى الآن ، وشفيق نور الدين الذى احتفظ بمستواه الفنى الرفيع فى الأداء المسرحى ، وأحمد الجزيرى الذى أثبت قدرته الفائقة على التشكل الكوميدى ، وبين هؤلاء العمالقة يقف عبد السلام محمد قزما فى عمره وحجمه عملاقا فى فنه وكفاءته .

« **جلال العشرى** »

قريبــــاً

ستنشر « الرسالة » مسرحية « حبل الغسيل » للاستاذ على أحمد باكثير ، وهى كوميديا فى ثلاثة فصول ، تعالج مشكلة الشعوبية الجديدة من الملابسات التى يمر بهـا المسرح العربى اليوم وما يعج به من متناقضات .

الكتب تقرأ وتعرف

رجال حول الرسول

تأليف: خالد محمد خالد
نقد: محمد عبد الله السمان

فى السنوات الأخيرة اتجه الاستاذ خالد محمد خالد اتجاها جديدا فى التاليف ، فبعد ان كان فى مؤلفاته الاولى عالما متحررا جريئا يشهر عصاه فى وجه الجمود الفكرى ، والتزمت الدينى ، ويشن مع الجامدين والمتزمتين معارك تتسم بالعنف ، والتواصى بحدة اللسان ، صار فى مؤلفاته الجديدة بحاثة فى أعماق الاسلام وتاريخه ، يلتقط المعانى المجهولة فيبعث فيها الحياة من جديد ، بعد أن يزيح عنهما غشاوة النسيان، كما يلتقط المعانى المعروفة، فيصوغ منها القضايا الحية لتعيش معنا فى حياتنا ، وهو فى كلتا المرحلتين يتميز بأسلوب الأديب الذواقة ، الذى يسلسل المعانى فى رقة وعذوبة وسهولة ويسر ، لا يحمل القارىء على المشقة فى القراءة ، ولا يورده موارد العنت فى استيعاب المعانى .

واذا كانت المرحلة الأولى للاستاذ خالد مرحلة الجدل والعنف ، قد صب فيها كل طاقات عنفه فى عدد من مؤلفاته : من هنا نبدأ ، مواطنون لا رعايا ، هذا أو الطوفان ، لكى لا تحرثوا فى البحر ، وغيرها ، فان المرحلة الثانية له هى مرحلة الاستقرار الذهنى ، والاستتباب الفكرى ، بذل فيها كثيرا من الجهد لاستخلاص المعانى الحية من الاسلام وسيرة ابطاله ، فى مؤلفاته : اله الانسان، انسانيات محمد ، الوصايا العشر ، بين يدى عمر ، كما تحدث الرسول ، وجاء ابو بكر ، ثم رجال حول الرسول .

وهذا الكتاب الجديد : « رجال حول الرسول » اعده المؤلف ليكون موسوعة تظهر تباعا فى حلقات، وقد صدر منها فى الشهور الأخيرة حلقتان ، اختار للحلقة الأولى عشرة من أصحاب محمد :

مصعب بن عمير : أول سفراء الاسلام، غرة فتيان قريش ، وأوفاهم بهاء وجمالا وشبابا ، اختاره الرسول لاعظم مهمة فى حياته ، هى أن يكون سفيره الى المدينة يفقه الأنصار فى الدين ، ويهيىء المدينة ليوم الهجرة .

وسليمان الفارسى : الباحث عن الحقيقة الذى قام بمغامرة نبيلة فى سبيل بحثه عن الحقيقة الدينية ، التى تصله بالله وترسم له دوره فى الحياة حتى اهتدى الى الاسلام .

وابو ذر الغفارى : زعيم المعارضة ، وعدو الثروات الفاحشة ، والذى صاح أول صيحة بالاسلام ، تحدت كبرياء قريش وقرعت اسماعها .

وبلال بن رباح : الساخر من الأهوال ، مؤذن الاسلام ،ومزعج الأصنام ،واحدى معجزات الايمان والصدق ، التى اثارت الدهشة وعمق التفكير .

وعبد الله بن عمر : المثابر الأواب ، الذى بدات علاقته بالاسلام وبالرسول وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، والذى كان اخا الليل يقومه مصليا ، وصديق السحر يقطعه مستغفرا وباكيا .

وسعد بن ابى وقاص : الأسد فى براثنه اول من رمى فى الاسلام بسهم فى سبيل الله .

وصهيب بن سنان : الذى اخذ مكانه فى قافلة المؤمنين ، وصفوف المضطهدين ، وصفوف الباذلين المفتدين .

ومعاذ بن جبل : أعلمهم بالحلال والحرام ، وشبيه عمر بن الخطاب فى استنارة عقله وشجاعة ذكائه .

والمقداد بن عمرو : اول فرسان الاسلام ، ومن المبكرين به وسابع سبعة جاهروا به عنفوان قريش وطغيانها .

ثم سعيد بن عامر : العظمة تحت الأسمال ، واحد من كبار الأتقياء الأخفياء ، والذى منذ عانق الاسلام، وبايع الرسول ، اعطاهما كل حياته ووجوده ومصيره .

اما الحلقة الثانية ، فقد اختار المؤلف لها أحد عشر صحابيا جليلا ، ممن صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وكانوا مع اخوانهم بايمانهم وثباتهم وبذلهم شرفا — اى شرف — للحياة وللانسان :

حمزة بن عبد المطلب : اسد الله ، وسيد الشهداء ، الذى كان اسلامه وقاية ودرعا ، كما كان اغراء ناجحا لكثير من القبائل التى قادها اسلام حمزة اولا ، ثم اسلام عمر بن الخطاب ثانيا بعد ذلك —

الى الاسلام فدخلت فيه افواجا ، ومنذ أسلم حمزة نذر كل عافيته ، وبأسه ، وحياته لله ولدينه ، حتى خلع النبى عليه هذا اللقب العظيم : أسد الله واسد رسوله .

وعبد الله بن مسعود : اول صادح بالقرآن وسادس ستة بادروا بالاسلام ، والذى صدقت فيه نبوءة الرسول : « انك غلام معلم » فقد علمه ربه حتى صار فقيه الامة ، وعميد حفظة القرآن جميعا ، واخذ من فم الرسول سبعين سورة لاينازعه فيها احد .

وحذيفة بن اليمان : عدو النفاق ، صديق الوضوح ، الذى جاء الى الحياة مزودا بطبيعة فريدة تتسم ببغض النفاق ، وبالقدرة الخارقة على رؤيته فى مكامنه البعيدة ، وقد زاد الاسلام موهبته هذه مضاء وصقلا .

وعمار بن ياسر : رجل من الجنة ، كان من الثلة المباركة العظيمة (آل ياسر) التى اختارتها مقادير الاسلام ، لتصوغ من تضحياتها وثباتها واصرارها وثيقة عظمته وخلوده .

وعبادة بن الصامت : نقيب فى حزب الله ، وواحد من زعماء الأنصار الذين اتخذهم الرسول نقباء على اهاليهم وعشائرهم ، والذى اصبح رائدا من رواد الاسلام ، واماما من أئمة المسلمين .

وخباب بن الارت : أستاذ فن الفداء ، والذى اخذ مكانه بين المعذبين والمضطهدين ، بين الذين وقفوا برغم فقرهم وضعفهم يواجهون بايمانهم كبرياء قريش وعتفها وجنونها .

وأبو عبيدة بن الجراح : أمين هذه الأمة ، والذى كان أول من لقب بـ « أمير الأمراء » ، والذى قال عنه عمر بن الخطاب وهو يجود بانفاسه: لو كان ابوعبيدة حيا لاستخلفته ، فان سالنى ربى عنه ، قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله » .

وعثمان بن مظعون : راهب ، صومعته الحياة ، كان راهبا عظيما ، لا من رهبان الصوامع ، بل من رهبان الحياة ، وكانت رهبانيته عملا دائبا فى سبيل الحق ، وتفانيا مثابرا فى سبيل الخير والصلاح .

وزيد بن حارثة : لم يحب حبه احد ، الذى حمل دون سواه لقب « الحب » ، حب رسول الله ، والذى قيل : انه ثانى المسلمين ، احبه الرسول حبا عظيما، وكان بهذا الحب خليقا ، لعظمة روحه وعفة ضميره ولسانه ويده .

وجعفر بن أبى طالب : اشبه الناس بالرسول خلقا وخلقا ، والذى كان أول المهاجرين الى الحبشة والمتحدث اللبق الموفق باسم الاسلام ورسوله .

ثم عبد الله بن رواحة : واحد من هؤلاء النقباء ، حملة الاسلام الى المدينة ، ومن أكثر الانصار عملا لنصرة الدين ودعم بنائه ، ومن اكثرهم يقظة لمكايد عبد الله بن أبى ، حتى افسدعليه اكثر مناوراته .

وبعد فقد قدم الاستاذ خالد فى حلقتيه واحدا وعشرين انموذجا من صحابة الرسول ، وجعل لكل منهم سمة مميزة ،تلقى اضواء على الجوانب المشرقة من حياته ، وتبرز مميزات عظمته ، وهدف المؤلف أن يرسم لهؤلاء صورا صادقة وسريعة ، صورا لانها ليست تاريخا يفيض فى ذكر أخبارهم ، ويتتبع وقائع حياتهم وآثارهم ، وصادقة لأن التاريخ الانسانى من بدء الخليقة الى عصورنا الحديثة لم يظفر بما ظفر به العصر الاسلامى الأول من اهتمام وفحص وتوثيق ، وسريعة : لأنها لا تقف طويلا أمام التفاصيل الكثيرة لحياة هذا النفر العظيم الشاهق من الرجال الابرار ، انما تواجه السمات الباهرة لأصالتهم المتفوقة وعظمتهم السامقة .. أو كما يقول المؤلف .

والحق : ان عمل الاستاذ خالد في كتابه : رجال حول الرسول ، لا يمكن اعتباره عملا دراسيا بالمعنى المفهوم للدراسة ، فهو لم يدرس هذه النماذج دراسة متكاملة ، ولم يتعمق فى اغوار حياتها كلها ، ولم يقدمها بمالها وبما عليها ، وهذا ما تقتضيه الدراسة المتكاملة عن اية شخصية عظيمة ..

وكان هم المؤلف ان يلتقط المعانى انى كان مصدر الرواية التاريخية لها ، لأنه لم يكن هدفه تمحيص التاريخ ، بل التقاط المعانى ليسلطها أشعة تضىء بعض الجوانب ، لا الجوانب كلها فى الشخصية التى اختارها ، وبذلك لا يمكن اعتبار الكتاب مرجعا الا فى التعرف على بعض السمات فى نماذجه التى قدمها ، وحتى هذه السمات لم يكن جميعها محتاجا الى اجهاد ذهن أو اعمال فكر .

والمؤلف حين اختار النماذج التى اختارها ، انما بدا بنماذج من اصحاب الرسول غير مجهولة لمسلم مثقف أو حتى نصف مثقف، ولو اتجه الى المغمورين وهم كثيرون — فبعث فى تاريخهم الحياة لكان أجدى واهم ، وان كان من المنتظر ان تستوعب الحلقات القادمة بعض النماذج المغمورة من أصحاب الرسول، ليكون عمل المؤلف عملا جديدا .

ومع هذا ، فقد امتعنا الاستاذ خالد بالمعانى الحية الخالدة ، التى عاشت نابضة بالقوة والحياة ، مع رجال حول الرسول ..

محمد عبد الله السمان

كتب جديدة

تقديم : أحمد الصادق عبد الصمد
وتحسين عبد الحي

● **تاريخ اندونيسيا**
الأدبي والتحريري والاسلامي
تأليف : د . فؤاد محمد فخر الدين
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر

يقع الكتاب في مائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير . وقد تناول المؤلف فيه بالدراسة تاريخ الأدب الأندونيسي ، واللغة الأندونيسية ، ثم الشعر الأندونيسي .

فالأدب الاندونيسي يمكن تقسيمه من حيث أزمنته الى خمسة عصور متباينة هي : عصر ما قبل الاسلام ويشمل عهدي ديانة الأنيميسم والديانة الهندوكية ، وعصر الاسلام الذي يبدأ حوالي عام ١٤٠٠ م .وعصر الاستعمار الهولندي (١٥٩٦ — ١٩٤١) وعصر الاحتلال الياباني (١٩٤٢ — ١٩٤٥) ثم عصر الحرية والاستقلال من عام ١٩٤٥ الى ...

واللغة الاندونيسية ، تناولها المؤلف من زوايا أصلها ، وتأثير الأديان فيها وخاصة الاسلام ، ثم طريقة كتابتها وعوامل تقدمها .

وقدم نماذج متباينة منه ، وفي نهاية الكتاب عدة لوحات فنية لمعالم اندونيسيا وآثارها التاريخية .

● **مدخل الفقه الاسلامي**
تأليف : د. محمد سلام مدكور
الناشر : الدار القومية

هذا الكتاب أحد أعداد السلسلة التي تصدرها المكتبة العربية ، ويقع في ١٣٦ صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق القاهرة ، وقد أورد في دراسته الموجزة مدخلا للفقه الاسلامي يوضح تاريخه ومزاياه ، والاطوار التي مر بها ، ومصادره وتكوين مذاهبه واتجاهات هذه المذاهب ، وقسم البحث الى أربعة فصول ، عرض في الفصل الاول لمزايا الشريعة الاسلامية ، وفي الثاني للفقه في عصور الرسول والصحابة وتكوين المذاهب والتقليد والنهضة ، وفي الثالث ، لمصادر الأحكام وطرق الاستنباط منها ، وفي الرابع لارتباط الأحكام الشرعية بالمصالح الانسانية والمصالح المعتبرة .

● **الأدب الصوفي في مفهوم جديد**
تأليف : عبد الكريم الخطيب
الناشر : سلسلة الثقافة الاسلامية

بهذا الكتاب بدأت عامها السابع سلسلة الثقافة الاسلامية التي يصدرها بالقاهرة محمد عبدالله السمان ويقع في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط .

تناول المؤلف في فصلين كبيرين الأدب الصوفي دراسة ومنهجا ، ثم الخصائص الفنية للأدب الصوفي والحق ان هذه الدراسة تميزت بالنزاهة في الرأي والدقة في البحث ، دون أن تمس الجانب العقدي من التصوف ، أو تمسه الا بالقدر الذي استدعاه الكشف عن مضمون عبارة أو كلمة ، فجاءت الدراسة بحثا خالصا للأدب الصوفي ، يراد به كشف سماته التي تلحقه بالأدب العربي وتفسح له مكانا فيه .

● **دفاع عن الزنوج**
تأليف : أحمد محمد عطية
الناشر : الدار القومية

الكتاب زهاء مائة صفحة من القطع الكبير ، وهو يتناول بالدراسة هذه القضية الانسانية الشائكة ، التي تقف فيها الحضارة الغربية موقف العداء والمناوشة ، كما يوضح نضال الزنوج من أجل قضيتهم العادلة التي لم تنصف بعد ، فيتحدث عن زحف نصف مليون زنجي في أغسطس من عام ١٩٦٣ على العاصمة الامريكية ، هذا الزحف السلمي ذو الهدفين : مشكلة العمل ، وثورة الزنوج الامريكيين ، ويتحدث عن قضية الزنوج في جنوبي أفريقيا وأنجولا ، ثم قانون الحقوق المدنية وهل يضع نهاية لمأساة الزنوج الامريكية ؟

● **العبادات**
تأليف : الامام المهدي
الناشر : مكتبة الكاملابي بالقاهرة

يقع الكتاب في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط وهو مجموعة من التعاليم التي أصدرها لأتباعه الامام المهدي قائد الثورة المهدية السودانية ، ضمت منشورات العقيدة والمصافاة والصيام وتضمنت جميع الأحكام المتعلقة بها واجبا وسنة ليسهل للمسلم العمل بها من غير شك أو خلاف .

هذا وقد قدم للكتاب السيد الصديق المهدي الخليفة الحالي بمقدمة مسهبة تناولت الدين

والانسان ، والدين والآمال والآلام ، والدين والأخلاق والمعاملات والاسلام والحضارة الانسانية والحياة المادية ثم لماذا أصبح الاسلام غريبا .

● **الحلى فى التاريخ والفن**

تاليف : د . عبد الرحمن زكى

الناشر : المكتبة الثقافية

هذا الكتيب هو العدد السادس والعشرون بعد المائة من سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ، وهو يقع فى أكثر من مائة واثنين وخمسين صفحة من القطع الصغير .

وفى دراسة مستفيضة عرض المؤلف للذهب فى صناعة الحلى والاحجار الكريمة فى الحلى المصرية القديمة فى شتى عصورها ، وللحلى فى العصور الاسلامية المتعاقبة منذ عهد آل طولون والفاطميين وللحلى فى الهند فى عصر المغول والهند المعاصرة ، وفى بعض بلدان الشرق الأوسط كسورية ، وفى المغرب ، ثم فى فارس .

اسرائيل الزائفة

تاليف فريد عبد الله جورجى

يبحث الكتاب فى دور الصهيونية العالمية بعنصريتها البغيضة فى اقامة اسرائيل .. ويبين كيف استغلت المنظمات الصهيونية الاوضاع السائدة فى العالم فى الفترة مابين الحرب العالمية الاولى والثانية وبعد الحرب العالمية الثانية الى يومنا هذا فى خلق دولتها الزائفة فى مشرقنا العربى .. وتدعيمها ويقدم الكتاب كذلك دراسة وافية للكتب المقدسة اليهودية التى زورت بحيث تخدم أهداف الحركة الصهيونية العدوانية التى تحاول أن تظهر نفسها كمنقذة لتعاليم مقدسة هى فى الاساس من صنعها .

ويقع الكتاب فى ١٤٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة كتب قومية .

علم الطيران

تاليف : أ.ح. ستن

ترجمة : دكتور أسامة الخولى

مراجعة : دكتور محمد مصطفى العلايلى

يعرض الكتاب قصة تطور الايروديناميكا (علم حركة الهواء) من عصور التاريخ الغابرة حتى يومنا هذا ، منتقيا من الاحداث والاشخاص أكثرها مغزى . والكتاب يتحدث عن الجوانب النظرية للطيران ولا يبحث مسالة تصميم الطائرات التى هى من اختصاص المهندس ، ولا يتعرض كذلك لفن قيادة الطائرات . وهو باختصار ـ محاولة أن يقف القارىء العادى على شىء ما فى فرع من فروع الرياضة التطبيقية بصورة مبسطة .

ويقع الكتاب فى ١٤٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية .

نساء القرن العشرين

أو من يدرى

للكاتب الايرلندى : برناردشو

تعريب : الدكتور جمال الدين الرمادى

يحتوى الكتاب تعريبا كاملا لمسرحية (من يدرى) أو « نساء القرن العشرين ـ كما اطلق عليها برناردشو ـ وهى تدور حول قصة طبيب شاب يعالج الاسنان ويصادف ألوانا مختلفة من النساء ، وبين من يقابلهن الفتاة « دولى » وهى فتاة مرحة منطلقة تاخذ الحياة ماخذ السخرية والعبث وهى على النقيض من شقيقتها جلوريا التى تحمل راية الاصلاح فى القرن العشرين ، وتحاول أن توضح منزلة المرأة فى المجتمع الجديد ، وقد تاثرت بمجموعة من الكتب التى نشرت حول حرية المرأة ومكانتها الاجتماعية .. ولذلك فهى تحاول أن تدلى برأيها فى الحياة والزواج بصراحة ووضوح وتطالب بتحرير المرأة من عبودية الرجل . الى آخر شخصيات المسرحية وابطالها بافكارهم واتجاهاتهم المتباينة .

ويقع الكتاب فى ١٨١ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية للطباعة والنشر ضمن سلسلة كتب من الشرق والغرب .

العدوان الثلاثى والضمير العالمى

تاليف : وفيق عبد العزيز فهمى

يحتوى الكتاب على دراسة للنواحى السياسية والعسكرية التى مر بها العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ والكتاب كما يقول المؤلف : محاولة لفهم ماهية الضمير العالمى وقوة أثره فى تصريف الشئون الدولية . وقد كان لمصر الفضل العظيم فى كشف مدى قوة الضمير العالمى وأثره داخل الأمم المتحدة وخارجها .

واوضح الكتاب كذلك دور اسرائيل الدنىء فى العدوان الثلاثى ودور البطولات العربية الرائدة التى وقفت بقوة وحزم على جميع المستويات السياسية منها والعسكرية لدحر العدوان وهزيمته مدعمة تدعيما كاملا بتأييد الشعوب العربية وشعوب العالم أجمع .

ويقع الكتاب فى ١٩٧ صفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة كتب قومية .

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



● الشيوعية في مصر والعالم العربي

أحدث المقال الذى كتبه « محمد حسنين هيكل » رئيس تحرير « الأهرام » في ملحق الأهرام الأسبوعي الصادر في يوم الجمعة ٢٩ يناير (كانون ثان) ١٩٦٥ أثرا كبيرا في الأوساط الادبية ، فقد عالج فيه موضوع « الشيوعية ، والشيوعيون في مصر وفي العالم العربي » بما عرف عنه من صراحة وبما قدمه من تحليل موضوعي استطاع خلاله أن يضع كثيرا من النقاط فوق الحروف فقد جاء في مقاله « انه قد جاء الوقت في ظنى لكي نتركهم يقرأون ماعندهم ، وليستمع المجتمع بقدر مايريد ، وليرفض ، وليلفظ كل مايجده متعارضا مع ارادته ٠

وفوق ذلك ، فانه مازالت هناك حالات يتحتم فيها على القانون وعلى البوليس اذا اقتضى الأمر — ضرب الشيوعية والشيوعيين اذا ما أقدموا على عمل يتعارض مع المبادىء الأساسية التى أعلنها النضال الوطنى ميثاقا له ٠

من ذلك — مثلا — أن تحاول الشيوعية والشيوعيون تكوين حزب سياسي علني أو سرى في مصر ، فان ذلك مخالف لاجماع الارادة الوطنية الحرة ، على أن العمل السياسي في المرحلة الحاضرة يكون كله تحت قيادة تحالف قوى الشعب العاملة وداخل منظمتها القائدة وحدها ، وهى الاتحاد الاشتراكى ٠

مثل هذه الحالة خروج على الميثاق ، وعلى الدستور ، وبالتالى يحق — بل لابد — للقانون أن يتدخل وأن يضرب ٠

ومن ذلك أيضا أن تحاول الشيوعية والشيوعيون أن يمسوا الدين رسالة وجوهرا ، فان ذلك أيضا ، مخالف للعقيدة الانسانية والأساسية الأولى التى يؤمن بها مجتمعنا الذى يقدس أديانه ويتمسك — قبل أى شىء — بقيمها الروحية ، ويحميها بكل قوانينه ، بل ويفتديها بما هو أقوى من القانون واحكامه » ٠

ثم يرى « هيكل » أنه لامستقبل للشيوعية والشيوعيين فى مصر وأيضا فى العالم العربى ، ويستدل على ذلك باكثر من دليل ، من ذلك قوله « ان النشأة الأولى المحركة للشيوعية فى مصر — وسيطرة اليهود الأجانب عليها — سببت لها بعدا عن التيار الوطنى المتدفق فى ظروف مابعد الحرب العالمية الثانية فى مصر ، واكاد أقول عزلة عن هذا التيار الوطنى » ٠

ثم يضيف أنه « نتيجة للبداية التى وصفتها بعد النشأة — والتى اعتمدت على مجموعة من الأفكار المائعة والعائمة والربط بها عن طريق الغواية بالجنس والمال ، فان الجو الذى ساد الحركة الشيوعية فى مصر كان جو انقسامات وحزازات تحولت بها الحركة الشيوعية الى مجرد حلقات تدور حول نفسها ، وتجتر كل منها أحقادها ضد غيرها ، دون أن يصدر

عنها جميعا فكر واحد يعالج واقع المجتمع الذى تعيش فيه وتهتم بمشاكله » .

ويمضى قائلا « ان الخطأ الوطنى قاد الى الخطأ القومى ، فان الحركة الشيوعية فى مصر - وفى غيرها من بلاد العالم العربى - لم تستطع ان تستكشف حقيقة التاريخ العربى الواحد ، والنضال العربى الواحد ، والمصير العربى الواحد .

وقعت فى خطأ تصور القومية ، وكأنها دعوة عنصرية ، بل وصلت الى أبعد من ذلك - فى متاهات الضياع - الى تصويرها وكأنها نزعة من نزعات استعمار جديد ، تريد دولة من الدول العربية ان تفرضه على غيرها سيطرة واستغلالا .

وأشهر نموذج لهذا الخطأ فى تحليل الواقع القومى ، هو خطأ الحزب الشيوعى السورى وموقفه من الوحدة وتجربتها الأولى بين مصر وسوريا » .

وقد تناول هذا المقال موقف الحزب الشيوعى الجزائرى ومعارضته لحركة القتال المسلح ضد فرنسا واعتباره أن ذلك القتال فى غير ميدانه الصحيح ، لأن الحزب كان يعتقد « أن مصير الجزائر يتقرر ضمن مصير فرنسا » والحزب الشيوعى الجزائرى بذلك الخطأ « كان يتبنى تماما وجهة نظر الاستعمار الفرنسى ولا يرى زيفها وخطرها » .

ويذكر المقال سلسلة من المواقف الخاطئة التى اتخذتها الحركة الشيوعية المصرية تجاه الثورة موقفا بعد موقف ، وسنة بعد سنة .

● « سنة ١٩٥٢ : موقف خاطىء لا يرى فى حركة الطليعة من القوات المسلحة ليلة ٢٣ يوليو بداية ومقدمة لعملية ثورية عميقة ، وانما يراها فاشيستية عسكرية ، لانها بدأت من الجيش ، والجيش بطبيعته فى خدمة الأمر الواقع وضد تغييره ، وكذلك لأنها لم تسمح بالاحزاب ، وبينها حزب شيوعى .. وبغير حزب شيوعى لا تكون ثورة » .

● « سنة ١٩٥٤ : موقف خاطىء فى الصراع بين الطليعة الثورية وبين محاولة الارتداد بالثورة الى الوراء وتسليمها الى الأحزاب القديمة ، القائمة على التركيب الاجتماعى القديم المستند على تحالف الرجعية والاستعمار .

والمدهش أن هذا الخطأ كان تحت شعار الديمقراطية وعودة الحياة النيابية كأنما التغيير الثورى مجرد خدش على سطح المجتمع ، وليس قلبا من الداخل لكل علاقات القوى الاقتصادية فيه » .

● «سنة ١٩٥٧ : بعد مهادنة مع الثورة خلال عملية كسر احتكار السلاح وخلال حرب السويس موقف خاطىء يستند الى أن الثورة الوطنية أدت دورها ، واستنفدته فى الحصول على الاستقلال ، وأن الوقت قد جاء اذن لتسليمها الى الحزب الشيوعى الذى يقدر وحده على العمل الاجتماعى » .

● سنة ١٩٥٨ : موقف خاطىء وقفت فيه الحركة الشيوعية المصرية والعربية مع عبد الكريم قاسم ضد جمال عبد الناصر ، مع دعوة الانفصال وضد أمل الوحدة تحت وهم انها تستطيع أن تتسلم من يد عبد الكريم قاسم ما عجزت عن تسلمه من يد جمال عبد الناصر ، وكانت فجائع كركوك التى كانت شبه محاولة انتحار يائسة قامت بها الحركة الشيوعية تحت شعار : كل شىء اولا شىء .. كانت النتيجة لا شىء » .

● « سنة ١٩٥٩ : موقف خاطىء تجاه عملية تأميم بنك مصر والبنك الأهلى التى لم تجد فيها الحركة الشيوعية المصرية - فى غالبها - الا صراعا بين جماعتين من البورجوازية المصرية : جماعة بنك مصر وجماعة عبود ، وكان تأميم البنكين نصرا لجماعة عبود على جماعة بنك مصر هكذا جاء فى التحليلات الشيوعية يومها .

● « سنة ١٩٦١ : موقف خاطىء تجاه قوانين يوليو الاشتراكية ليس فيها على ما ظنت الحركة الشيوعية المصرية ، الا رأسمالية للدولة فى أحسن الأحوال ، هكذا قيل فى المنشورات يومها » .

● سنة ١٩٦١ موقف خاطىء ثان تجاه الوحدة، فان الاحزاب الشيوعية العربية عموما أيدت الانفصال ، ووقفت بذلك فى معسكر الاستعمار الرسمى ، وجنبا الى جنب مع الرجعية ، ضد القوى القومية التقدمية العربية التى كانت قبل الانفصال باسابيع قد فجرت ثورة قوانين يوليو الاشتراكية العظيمة » .

هكذا سلسلة من الأخطاء نبعت وتفرعت من خطايا البداية وتطوراتها » .

وينتهى المقال مبينا « أن الحقيقة الوطنية اليوم فى مصر هى الحقيقة الثورية الوحيدة ، وبهذه القوة فانها تكون فى المركز الذى يسمح لها بأن تترك لكل قائل أن يقول ما يريد » .

أقول بذلك مقتنعا به ومؤمنا ، لا أقول به عن يقين بأن المنظمات الشيوعية لا مستقبل لها فى مصر وفى العالم العربى - فقط . ولكنى أقوله عن يقين بأن الديمقراطية لها المستقبل كله فى مصر وفى العالم العربى أولا وآخرا » .

« محمد العواتى »



رجل وفاس

للدكتور محمد سعاد جلال

الليل قاتم ، والظلام معربد ، ومصابيح السماء منطفئة ، والريح تصفر وتسكت ، كشيطان سكران ، ينفخ في صور ، فتسمع له حشرجة رعيبة ، واشباح غامضة تنوح ، تروح وتجيء وتدمدم ، ملتفة في الظلام الحقود ، وضجة وصراخ وثار ، غارقة في الصمت العميق ، ورجل جالس ، تلمع جراحه ، وتنزف دماؤه ، في وجهه بشر ، وعلى فمه ابتسام ، وفي قلبه حب ، والى جواره فاس ، سالت الرجل ، من تكون يا رجل ، حطاب وهذه فاسي ، اقتلع الجذور العفنة ، واشق الأرض المريضة ، واكشف الديدان المختبئة ، واقطع رؤوس الأفاعي •

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وسالت الرجل ، من تكون يا رجل ، حفار وهذه فاسي ، احفر القبور في الصحراء ، وادفن فيها موتى الأحياء ، واهيل عليهم التراب والحصى ، واضع على قبرهم شاهدا •

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وسالت الرجل ، من تكون يا رجل ، هدام وهذه فاسي ، اهدم الصروح المزيفة ، واكشط الطلاء المكذوب ، واحطم التماثيل الجوفاء ، وادع الأرض مسواة بيضاء •

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وسالت الرجل ، من تكون يا رجل ، عاشق في حكم معشوقه ، ومعشوقي مثاله جبار ، وصله فداء ، وقربانه دم الشهداء •

وانفجر الرعد ، وبرق البرق ، وبحثت عن الرجل ، فلم اجد الرجل •

حول

الشاعر « ابو سلمى »

بقلم : محمد عز الدين المناصرة

في العدد ٧٧ من مجلة «الرسالة» الغراء كتب الاستاذ محمد نصر مقالا عن الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي ابي سلمى ومع شكري العميق للاستاذ لتعريفه بشاعرنا الكبير الا ان عندي ملاحظات ارجو ان يتقبلها :

اولا ــ لم يكن مقال الاستاذ يحمل صفة المقال او البحث بل هو ــ على ما ارى ــ ريبورتاج صحفي ليس الا •• وهناك فرق بين الصحفي والاديب •

ثانيا ــ الاستاذ لم يحلل شعر الشاعر ولا تحدث عن ادبه حديثا علميا ولم يعطنا فكرة عن الشاعر ، فالقارئ لأول وهلة يظن ان ابا سلمى من خلال المقال هو انسان مجهول يريد الكاتب التعريف به مع ان الشاعر ابا سلمى هو في نظري اكبر شاعر عربي كتب في شعر الوطنية واعتقد ان حسنين هيكل لا يكتب ولا يستشهد الا بعباقرة الشعراء ومنهم ابو سلمى •

ثالثا ــ الاستاذ يقول ان احدهم طلب منه ان يكتب عن ابي سلمى فكيف لو لم يوصه احد ان يكتب •

رابعا ــ انا شاكر جدا ومن اعماق قلبي للاستاذ نصر مع علمي انه مخلص كل الاخلاص ولكني اطلب منه ان كان يملك ديواني الشاعر «المشرد» و «اغنيات بلادي» ان يطلع قراء العربية على اروع الاشعار وقد يعجب الاستاذ كيف لم نكتب عنه نحن ابناء فلسطين ولكنني اقول اننا لانعرف عن شعره الذي نعتقد انه اروع الشعر

الا ما تسرب لنا من القليل من شعره . فالمعروف ان ديواني الشاعر «الأول والثاني» كانا وما يزالان ممنوعين من دخول بعض الاقطار العربية وكم بحثت عن ديوانيه دون جدوى ولكن هناك قصائد معروفة لم يتعرض لها الاستاذ منها على سبيل المثال قصيدته « مصرع ثائر » منها :

جناح النسر حطمه الصعود   واعيته العواصف والرعود
بكى جبل (الخليل) على فتاه   ورددت النداءات النجود
اراتب ان تعرض اجنبي   وهم ابدا على اهلي اسود
وما أرض العروبة لي بارض   اذا سلبت فلسطين اليهود

وقصيدته (الدم العربي المطلول) :

كلما قلت اطل الفجر غابا
اترى تغدو فلسطين سرابا

وقصيدته « اطياف الوطن » :

اطل الفجر من عينيك ما اروعها طله
ارى فيها خيال الكرمل واللد والرمله
وموج الشاطئ الغربي من عكا ارى ظله
لقد حملت لي العينان ما لم استطع حمله

وقصيدته بقايا أهل :

قبل الترب لا تقل انا حالم
هذه غزة العلا والمكارم

وقصيدته (اغنية الموج) التي أهداها للشهيد العربي جول جمال . وقصيدته (التربة السمراء) :

اختاه لا تبكي على اوطاننا
فالتربة السمراء في انتظارنا

وقصيدته «المشرد» :

فلسطين الحبيبة كيف احيا   بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات   وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني مدائنك اليتامى   تناديني قراك مع القباب
ويسالني الصحاب الا لقاء   وهل من عودة بعد الغياب
اجل ستعود الاف الضحايا   ضحايا الظلم تفتح كل باب

وهناك كثير من شعراء النكبة كتبوا الشعر الجميل من امثال : فدوى طوقان وسلمى الجيوشي واسمى طوبي ومعين بسيسو وامين شنار والافغاني شاعر الشباب وهارون هاشم رشيد وخليل زقطان واحمد عبد احمد وسميره ابو غزاله ودعد الكيالي وعبدالرحمن بارود وعلي هاشم رشيد وعبد الرحيم محمود وابراهيم طوقان وراضي صدوق وعيسى الناعوري والدكتور الكيلاني ولربا ملحس وعبد الرحيم عمر واحمد ابو عرقوب وجميل علوش ويوسف الخطيب واسكندر خوري ومحمد سليم الرشدان .

ولكن ابرزهم على الاطلاق : ابو سلمى – هارون هاشم رشيد – فدوى طوقان .

كما اسهم في شعر النكبة شعراء عرب من امثال :

محمد التهامي وانس داود وعبده بدوي ومحمد العزب ومحمد رجب البيومي من مصر وعبد القادر الناصري من العراق وطلعة الرفاعي من سوريا وفاضل خلف من الكويت .

الساقية

للشاعر احمد عمر هاشم

تغيا ساعاته النائية   بظل خمائلها الحانيه
وعايشها في صياه القرير ..   شغوفا لأنتها الباكيه
فكم سهرت في دجاها تدور ،   تنبه ادواحه الغافيه
ومر عليها الزمان العنيد .   بكل عذاباته القاسيه
وساع الظهيرة قد شده   حنين لترعتها الجاريه
فجمع ابناءه : يا بني .   تعالوا . تعالوا الى الساقيه
وراحوا الى جدول حالم   قد اعشوشبت ارضه الزاهيه
وقال : «هنا – آه ياكم هنا   سهرنا لياليها الداجيه
ولفح الشتاء . ولفح السماء   يصب قساوته الهاميه
على كتفي فراشي غطاء   ومن تحته مزق باليه
ولملمت الأم « قشا » وراحت .   تجمع كومتها الناديه
وتشعل نارا .. بها نتقي   من البرد لذعته الضاريه»
وعاد . وعادوا الى بيتهم   بنفس مصابرة راضيه
وعاد وفي قلبه الذكريات ،   وفي وجهه راحة حاليه
وراح ليرى عهدا مضى   وقد ودعت يومه الساقيه
وقالت : « مضى عهدي المدلهم ..   وايامه المرة الخاليه
واقبل عهدك . عهد انطلاق   برود فضاء السما العاليه
وولت ليالي الدجى المثقلات   بكل ضراوتها العاتيه
قدمت وولى زماني . وحصحص فجر صناعتك الناميه
لثابر وصابر وشد قواك .   فلم تبق لي بعد من باقيه
سوى ذكريات حفرن هناك .   تثير الحنين لأيامه»
فمن عاش ذاق صفاء الحياة   وذاق مرارتها القاسيه
ومن يصطبر للظلام . اطل له الفجر في طلعة حانيه

امين الريحاني
الثائر العربي

بقلم خميس سلمونه :

ان الاعمال المجيدة التي يقدمها ابناء الأمة المخلصون هي التراث الانساني الذي يرود المستقبل ويحدد معالم الطريق ولكي تستمر الأمة في نهضتها عليها ان تتبصر من حولها هذه المعالم وان تفيد من هؤلاء الرواد حتى يستمر طريق التطور مستقيما واضحا والأمة العربية وقد خطت خطواتها الموفقة المباركة وابرزت

العزة الكريمة التي انطوت عليها نفوس ابنائها وقد اصبح واجبا عليها ان تعتز بتراثها وباعمالها المجيدة وبروادها الاعلام الذين فتحوا مغاليق الفكر امام الناشئين .

وقد كان « امين الريحاني » وليد لبنان عام ١٨٧٦ احد رواد الفكر الانساني الذين رفعوا لواء الثورة على الصعيد العربي كله - صاحب مبدأ ورسالة وكان من اعداء نظرية «الفن للفن» في الادب ودعا الادباء والكتاب في كل مكان ان يجندوا اقلامهم خدمة للشعب وان يتركوا الابراج العاجية ويحطموها ووضع المسئولية كاملة على كاهل رجال الادب والفكر وناشدهم قائلا : « الثورة الروحية قبل الثورة الاجتماعية » فلو احدث كل النفوس لنالت الافراد اقصى امانيها في الحرية والعدالة والمساواة» ومن لا يثور لا ينجو من العبودية ولا حق له ان يشكو العبودية وكره « الريحاني » الاستعمار وشن عليه الحملة تلو الحملة قائلا : « انا عربي شرقي .. ثوري .. عربي يكره الترك ، وشرقي لا يزدري العرب ، ثوري تهمه الكعبة مثلما يهمه الدستور» وقد اعطى للدين حرمته وقدسيته وجلاله وللموطن حقه وكيانه واخذ على عاتقه عبء الدفاع عن قضية فلسطين العربية الجريحة وتطوع بالسفر مرارا الى امريكا ليعلن على العالم من هناك حق عرب فلسطين في وطنهم السليب الضائع بين انياب الصهيونية الغادرة وكانت سلسلة ثوراته متصلة لم تنفصم فثار على رجال الدين ثورة عارمة حارب فيها التزمت الذي سيطر على الافكار والمعتقدات مناديا بالتسامح والاخاء فتصدى له دعاة الرجعية وحاربوه فخرج عن العالم العربي بكتابه (المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية) وفيه يسخر من رجال الدين الذين شوهوا معالم الدين بتزمتهم واجرى فيه الحوار على لسان الحيوانات على غرار «كليلة ودمنة» ثم طلع مرة اخرى بكتاب قيم في ذات الصدد بعنوان « المكارى والكاهن » يحارب به الجمود الديني والبدع والخرافات التي سيطرت على العامة من ابناء الشعب وحمل رجال الدين مسئولية تربية النشء وما يترتب على تخلف هذا النشء من اندحار في الاخلاق والقيم وضعف في النفوس والافئدة .

وثار كذلك على التقاليد والعادات التي انتشرت كالوباء في المجتمع العربي انذاك فقيدت خطواته وعاقت مسيره .. ووقفت حجر عثرة في طريق طموحه وآماله ومثله وان انتشار هذه العادات البذيئة المستوردة نتاج الحكم الاستعماري البغيض الذي ولد في نفسية المجتمع العربي الخوف والجهل الذي استشرى كالفناء الوبيل (الخوف والجهل توأمان امهما العبودية وابوهما الظلم وان عقلية الاسرة لعقلية العبيد انها لتبدو في السيد وفي المسود وفي الوزير وفي الحقير وفي المؤمن اللابس العمامة او البرنيطة وفي رئيسه الرافل في الدمقس والارجوان انا سيدك وهذا سيفي على رقبتك ثم يقول لمن هو ارفع منه انت سيدي وهذا سيفك على رقبتي فسبحان من جعل السيف رمز المساواة ومرحبا بمن جاء يحطم السيوف ويحرر العبيد) .

وشغلت الثورة عند الريحاني الشعراء وهم اخوانه واصدقاؤه الا انه ناصبهم العداء لوقوفهم مكتوفي الايدي حيال قضايا بلادهم وقرضهم الشعر في الاخوانيات والرثاء والمدح المبتذل وبعدهم عن الكفاح به في الميادين الصادقة («نحن في زمن الحديد والكهرباء وان حابق هذه القلوب» يلصق الشعرا[illegible]

لاعجز في المحن والنكبات من فراخ القطا ولاجبن من صغار الارانب وما اسرعنا وهذه قلوبنا الى الشكوى والانين ، والى التاوه والتلهف والنواح وما اسرعنا واشد صراخنا في ميدان النحيب والندب وكاننا في مندب دائم) وكان جل همه جمع الشمل العربي فقال في احدى خطبه (ان خلاص الانسان بيده .. انهضوا ينهض الله معكم والان الامة التي يكثر فيها الطفيليات لا تعيش طويلا فكروا في الانتاج قبل ان يهلككم الاستهلاك وجارك القريب خير من اخيك البعيد بل خير من اهلك الحنون البعيدة) .

وبكل هذه الاسلحة حارب الاستعمار وقاوم الحضارة الغربية التي (تؤثر العرض على الجوهر وترفع الاحتيال على الصدق والسياسة على العلم والجمال على الحقيقة والمال على العدل) وسيطرت زخارف الحضارة على كل شيء حتى توصلت الى السيطرة على القيم والتراث واصبح الناس لا يأملون الخير في مستقبلهم وكانهم في عهد قياصرة الرومان واكتشف ببصيرته النافذة ان الديمقراطية قد انحرفت عن مبادئها التي قامت عليها من حرية وعدالة ومساواة (تغيرت القيود وتنوعت السلاسل واستبدل النخاسون بغيرهم) .

وانتقد الريحاني السياسة الاقتصادية التي يطبقها الغرب الاستعماري والتي تؤيد الاحتكار والاستثمار والجوع (هناك جبال من الدقيق تطلب من يأخذها ويوزعها على العالم وهناك الوف وملايين من المساكين يشترون رغيف الخبز بدمهم ودم بنيهم الصغار فمحا ينتظر الطاحن وطحينا يلتمس الخباز والالوف من البشر يطلبون خبزا والمحتكرون يقولون .. لا .. ولماذا ؟ لان الاسعار هابطة ولا ربح في البيع للافراد والمحتكرين) .

وقد ارهص الريحاني للثورة الاشتراكية في العالم العربي في قوله متمنيا :

(متى يارب .. تتساوى الاعضاء وتتوازن فتظهر على الهيئة علائم الجمال ودلائل الكمال ولا اظن ذلك اليوم يراني ويراك ايها القارئ .. ولكن اؤكد لك انه آت .. وكل آت قريب) .

ودعا الى اتحاد العلم والدين (اريد ان ارى في بلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلم على شجرة واحدة) .

وهكذا بالجهد والعرق والكفاح وبالنفي والتشريد والغربة بكل هذه الوسائل قاوم الريحاني الحضارة الغربية العابثة بحرية الانسان وقيمه وتراثه ومعتقداته قاومها بالعقل والمنطق الواضح واصبح ادبه الحي تعبيرا عن خلجة نفس ثائرة تعاف الظلم وتاباه مجسدة نقمة الجماعة والافراد على اوضاع قائمة جائرة سواء اكان القابض على ناصيتها من ابناء البلاد او من خارجها ..

وفي عام ١٩٤٠ لقي كاتبنا العملاق ربه اثر حادث اليم بعد ان ترك ثمار قريحته الفذة في صورة كتب اصلاحية رائدة (التطرف والاصلاح - انتم الشعراء - الريحانيات - المغرب الاقصى) ولكنه سيظل قمة سامقة في عالم الفكر فقد كان يحق سرحة يانعة في روضة لبنان .. وعلما شامخا من اعلام الفكر والشعور جميعا .. وذخيرة حية باقية في التراث العربي الخالد .

القاع ...

قصة بقلم : أحمد أحمد قريم

بحر الصمت عميق .. غرقت فيه هذه الرءوس الثلاثه .. والألسنة تتمدد بلا حراك فى القاع المظلم .. وسطح البحر ساكن . لا همسة تنساب فوقه فتصنع شيئا .. تجعل الرءوس ترى بعضها .. والألسنة تتشابك .. والكلمات تشق لنفسها طريقا بين الشفاه . البحر عميق !! ظلامه يبدد كل خلجه ...

احد الثلاثه ينتحى بنفسه ركنا من القهوة . خده يستند الى راحته .. راحته تستند الى كوعه .. كوعه يستند الى المنضدة . والمنضدة .. رخامها بارد سميك .. يشده الى القاع !!..

اما الآخر فيداه تنشران جريدة مفتوحة . نصفها يتدلى على حجره .. ونقطة ما . ليست كلمة . ولا سطرا تشد انظاره اليها .. فيحدق فيها بلا سبب .. سوى انها تشده الى القاع !!

الثالث .. يتكىء بذراعيه على المنضده .. ينحنى كاهله الى الامام انحناءة خفيفه . وذراعاه تمتدان ... ثم تلتقيان ... ليصنعا حلقة حول فنجان من القهوه .. فوق سطحه ترجرج طبقة كثيفه من السائل ... هى « وش » القهوه . وهو ... يشتهى ان يسكب ذلك السائل فى جوفه .. لكنه لايفعل . لانه يريد ان يعرف ماذا تحت « الوش » فالاعماق المنطوية تحت سطح الطبقة الكثيفه تستهويه . بهذا .. ظل يحدق فى البحر البنى الداكن اللون . وترك نداء القاع يشده الى الاعماق!.

فجاة .. يتصاعد جو من الضجيج والصخب فى ثناياه صراخ آلة موسيقية وطبلة تدق فى ساحة والحاح ..

ويتصبب التوتر بين الرءوس الثلاثه ، وتتطاير بينهم نظرات . وتختمر فى كل راس فكره .. أن يبدا الآخر بالكلام !! لكن القبس الصغير لا يضىء القاع المظلم ... ويموت فيه !..

«حاوى !! » قالها الرجل الجالس فى الركن لنفسه كانت راسه لاتزال تستند الى راحته . ولم يفعل شيئا سوى ان فتح عينيه . ومضى .. ووجهه يميل للارض .. وعيناه ترتفعان الى آخر مدى حدقتيهما .. مضى يحدق فى رجل يرتدى بالطوا اصفر . شعره منفوش .. ذقنه طويله ... وشعاع من العصبية يطل من عينيه .. والى جانبه وقف طفل صغير ... برعم يتفتح على الشقاء .. فوق ظهره حقيبة سوداء ضخمة .. ويداه تصنعان الضجيج على طبلة كالحة ..

تجاوزت انظار الرجل كل شىء . ثم همت ان تنسحب . تعود الى داخل القوقعه المغلقه . لكنها فى هذه اللحظة التقت بوجه الطفل الصغير ، ويداه الضعيفتان ترتفعان ثم تهبطان فوق الطبلة الكالحة . وتوقفت انظار الرجل تماما ... ارتمت على الوجه الطفولى وتسمرت فوق قسماته وصرخ صوت فى اعماقه ... ياسلام !! سمير .. تماما .. سمير .. ابنى .. هذه الخصلة خصلته .. العينان البريئتان الصافيتان عيناه .. الانف الدقيق المرسوم أنفه .. ملامحه كلها .. كلها ... ياابنى ياحبيبى !! »

اما الآخر .. فقد طبق الجريده . ثم ارهف سمعه للكلمات المحمومة المتلاحقة . كان صاحب المعطف الاصفر يقف فوق صندوق خشبى . صوته ينبعث من اغوار سحيقه .. احدى يديه تتحرك الى فوق والى تحت .. وكل الاتجاهات . قابضة على زجاجة بها سائل أصفر . واليد الأخرى تتابعها فى تحركاتها .. مضمومة الاصابع الا اصبعا انفرد كالسهم ليوجه الأنظار الى زجاجة السائل الاصفر .

لم يكن يعنيه شىء - كان يرقب الرجل وكفى !! اما كلماته المحمومة عن السائل العجيب الذى يجعل ابن التسعين ينجب من يوحد الله . فلم يهتم بها. فلديه فى المنزل خمسة يوحدون الله .. وياكلون .. ويشربون ، ويلبسون . حقا لم يكن من المناسب له ان ينجب خمسة . لكن ماحدث قد حدث .

فجاة .. وجد نفسه ابا لخمسة . يوحدون الله .. ويحتار هو كيف يدبر نفقاتهم . فكل شيء يكبر بسرعة .. الفم الذي ياكل لقمة ، يكبر ليبتلع رغيفا . الجسد الذي كان يكفيه نصف متر للبنطلون أصبح لا يغطيه الا متر ونصف متر . هكذا .. كل شيء ينمو من حوله ليلقى ظله في رأسه أفكارا وصداعا وقلقا .

وتلفت حوله . القهوة خاليه الا من رجلين صامتين . وشده صمتهما فأخذ يرقبهما . هذا الرجل المسن يبدو في بحبوحة من العيش .. في اصبعه خاتم يكفي ثمنه لأن ياكلوا لحما طوال الشهر . لكن .. ما باله صامتا هكذا ؟! انه ينظر الى الطفل !! ربما .. ليس لديه واحد منهم .. آه .. تعال خذ من عندي ماتشاء من الصداع والاولاد والمشاكل . اف لهذه الافكار !! الا ليت واحدا منكما يتكلم ! فينتشلني من القاع .. ولم يتكلم احد !! ..

كان الرجل الثالث لا يزال يحدق في فنجان القهوه فنجان القهوه أصبح دنيا كاملة تمتصه .. فتذوبه في البحيرة الداكنة . لكنه لم يشرب القهوه .. انه يخشى أن يزول « وش » الفنجان فيكشف عما تحته .. تحته وجه بهيجه يحملق فيه .. وفي عينيها سؤال يطل كالثعبان ... ويوما .. سيخرج الثعبان ويلدغه . وسحقته الافكار فعاد يهرب الى وجوه من حوله . هذا الرجل الصامت صمت القبور .. لماذا يبدو حزينا هكذا ؟! لديه مشكله ؟!! مهما يكن ... فاضحك ياصديقي .. اضحك .. فلا يجب أن يحزن الا الشخص العقيم .. اضحك .. أو قل لي كلمة .. اى كلمه .. تشق هذا الستار الكثيف وتجعلني ارى ما تحته .. وما يرقد في القاع .. حسبك اى كلمة .. الا ان تكون كلمة غراء .. فحذار .. والا حطمت راسك الطيب الغارق في الجريده .. ولم يتكلم أحد !! .

الرجل المسن يرفع رأسه عن راحته ويتململ .. لماذا ينظرون اليه هكذا ؟! الانه يتأمل الصبي !! انهم لا يعلمون .. وكيف يعلمون وهم لم يروا سميرا ؟! سمير ابنه كان طفلا رائعا .. حصاد عمره العجوز .. ماذا اقول لكم عنه .. فقط لو سألتموني لوصفته لكم . لكنكم لاتكلمونني !! من يأبه لعجوز احمق يجتر صمته في ركن ما !! . اذن .. ساصفه لنفسي .. سمير كان في السابعة من عمره ... كنقطه ندى ... اغنية فجر وليد .. هل احكي لكما عن عينيه السوداوتين ؟! ما أحلاهما ... لم أر في حياتي مثلهما .. ولا أنتما أيضا .. كانت عيناه تتكلمان اذا ما صمت لسانه .. شقاوته كلها في عينيه .. اذا مارفضت له طلبا لم يكن يحتج .. بل تحس بنظراته تتمسح بك .. وتقفز على كتفيك ... وتتعلق في رقبتك وينبعث منهما وميض خبيث حبيب يعلم جيدا انك لن تعود فترفض طلبه . وعندئذ ... اذا كنت طيبا ... فقد يعطيك قبلة .. والقبلة بشلن . هذه سعيرته التي لا تقبل مساومة ولا فصالا .. وكان طفلي الوحيد ، فقد تزوجت اخيرا . حياة العمل الشاق امتصت شبابي . وكانت أيامي تمر بلا طعم حتى تزوجت .. وجاء سمير . اوه .. أن صراخ الرجل يتعالى .. وهذا يقطع افكاري ... فمعذرة ، معذرة حتى يصمت الرجل ، ان سمير ابني لايحب الضوضاء .

ــ أنا قلت بعشرة .. عشره صاغ بس .. الشراب العجيب ياساده .. ومد الرجل البدين يده ثانية فتناول الجريدة الملقاة على حجره . كان يشعر بمقت شديد لصاحب المعطف الاصفر . ماذا يبيع للناس ؟! دسته اولاد بعشرة قروش ؟!! يالها من صفقة خاسره !! هو وامثاله فقط يعلمون انها خاسره نتيجتها باقات قمصان ممزقة .. وبنطلونات قديمة .. واحذية مرتفعة .. أجل .. كان يشترى له شرابا .. فيفاجأ بان نجله الكبير الطالب في الجامعه كان يلبس شرابا ممزقا طوال الاسبوعين الماضيين . أما القمصان .. فقد اقترحت امهم حلا وسطا .. يلبسون القميص الجديد بالتناوب .. ولم يكن يقول شيئا .. فهو يحبهم طبعا .. لقد كانوا بذورا وسقاهم وكبروا وانتهى الامر . لكنه في أحيان كثيرة .. عندما يرى واحدا من أولئك الناس الذين يبيعون الشراب الاصفر .. لم يكن يستطيع ان يمنع نفسه من الاحساس بالاضطهاد والظلم .. وعندئذ ... كانت تقفز الى ذهنه صورة عنايات هانم .. جارتهم الارملة العجوز التي ورثت عن زوجها ثروة لا بأس بها . وليس لها أولاد . والتي قالت له يوما .. وقد تحينت ما حسبته فرصة .. انها تحتاج لزوج .. ولو صوريا .. يرعى مصالحها ..

ولم يستطع ان يبت في الامر . واخفاه عن زوجته وكانت السخرية . عندما فاتحته زوجته بنفسها فى الامر .. والحت عليه ان يقبل .. لأجل خاطر الاولاد !! ..

وعاد يتامل صاحب المعطف الاصفر فى ندائه المحموم . واخذت صورة الرجل تبهت أمام عينيه . واخذ خياله يذوب . ثم ظهرت عنايات هائم فى المعطف الاصفر .. تمسك الزجاجة ويداها تخبطان الهواء .. فنظر مستغيثا الى زميليه .. لكن نظراته ضاعت فى الهواء ... ولم يتكلم أحد !! ...

لقد برد فنجان القهوه .. وتحللت هذه الطبقة الكثيفة على سطح السائل .. اصبحت رقعا يفصل بينهما اللون البنى الداكن .. اخيرا تمزق القناع !! وصرخت بهيجة فى وجهه :

انت عاوز تتحكم فيه ؟! ياأخى لما تبقى راجل ..

***

لدغه الثعبان !! كان يعرف انها يوما ماستقول له هذه الكلمات . وهذا حقها ... لكن ليس من حقها ان تحكى للناس .. وليس من حق الناس ان يخنقوه بنظراتهم الرائيه .. حتى صاحب المعطف الاصفر عندما اشترى منه زجاجة من شرابه ذات مرة . نظر اليه اولا فى شك .. ثم لما تأكد من العشرة قروش فى يده .. عاد ينظر اليه مرة اخرى .. لم يقل شيئا .. ولا كلمه .. لكنه أحس أنه قد فهم .. وانه يتالم لاجله . وماهمه ان يفهم بقدر ماهمه انه يتالم لاجله . فهو منذ زمن قد عرف النتيجه مقدما .. لن ينجب شيئا .. هكذا قال الاطباء له فى صراحة .. وهم يتاملون بنيانه الرائع القوى وشبابه الغض ..

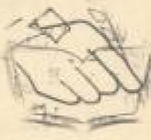
— انا قلت يسيبه .. مين قال هات ؟! الاكسير العجيب ..

وظلت الرءوس تحدق . نظراتها تنقر الزجاجة الصفراء .. ثم تعود فتتلاشى فى الصمت . وهدات حماسة الرجل .. ثم صمت ، وحمل الطفل بضع زجاجات اخذ يدور بها على الناس . وجاء الى القهوة . وتردد لما وجد أن مابداخلها ثلاثة رءوس صامته . لكنه اقترب من الرجل البدين الممسك بالجريدة فى يده . ووقف أمامه كالطيف . ثم خرج صوته الرفيع يتعثر ..

— هنا الاكسير العجيب ياأفندى ..

لكن الرجل لم يرد . كان بصره مشدودا الى الصفحه فى تقطعها .. لا هى كلمة .. ولا هى سطر .. وعاد الطفل يتوقف أمام الشباب المتكفىء على المنضدة وفنجان القهوه . لكن الشاب لم يحول بصره عن السطح الداكن .. لماذا !! وقد طلق بهجة بالأمس .. ورمقه الطفل لبرهة قبل أن يمضى عنه . واحد فقط انحنى على الطفل . ثم أمسك بكتفيه واخذ يتامله مغرقا لثوان قبل ان يأخذ منه كل الزجاجات الصفراء ثم يضع فى يده ورقة مالية خضراء . وذهل الطفل . ثم أسرع يقفز متواثبا عائدا نحو أبيه . بينما كان الشيخ يدمدم لنفسه «الله يرحمك يابنى .. الله يرحمك يابنى .. » وتفرقت جموع الناس .. وذاب الزحام .. وعاد الشارع كما كان .. وعادت الرءوس الثلاثة تغرق فى بحر الصمت العميق .. والقاع .. القاع الرهيب يشد الألسنة اليه .

« احمد احمد فريد »





العدد ٨٢

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر